الـملخـص

طرق وأساليب الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي
دراسة بلاغية تحليلية

ينظر هذا البحث في طرق وأساليب الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي بالدراسة البلاغية التحليلية ؛ بعد أن لاحظ الباحث تنوع هذه الطرق بين التقرير ، والحوار بأنواعه ، والقصة ، ولاحظ كذلك تعدد تلك الأساليب بين الخبرية والإنشائية ، والحقيقية والمجازية ، وغير ذلك من أدوات ووسائل فنية .

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن بلاغة هذه الطرق والأساليب ، وإيضاح أثرها الفني على المتلقي ، عن طريق سبر أغوارها ، والتغلغل في مطاويها ، واستكناه أسرارها الفنية الكامنة تحت أطمارها .

ووصولاً إلى هذا الهدف فقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي ، إذ استقرى الأحاديث الواردة في الغيبة والنميمة ، وتتبعها تتبعًا قائمًا على الملاحظة الراصدة لطرق عرضها ، ثم قام بتوصيفها حسب طرقها المختلفة الآتية عليها ، ثم اختار منها شواهد تغطي تلك الطرق وتمثلها ، ثم قام بتحليل الأساليب المندرجة تحت هذه الطرق تحليلاً وافيًا كاشفًا عن خصائصها وأسرارها البلاغية ، وهذا البحث يستنتج منه أن التنويع في طرق وأساليب العرض قد لبى حاجات جميع المتلقين ، ونهض باستيعابهم على اختلاف نفوسهم ، وتنوع استعداداتهم ، مما أدى في النهاية إلى شمولية التأثير ، وعمومية الإقرار بشناعة أثر الغيبة والنميمة، وخطورة مسلكهما ، وأن طريق الحوار قد اتسم بالتنويع في طرق عرضه بين الحوار المطلق، والحوار المقترن بالإشارة ، والمقترن باستثمار الفرص الملائمة ، وكان لكل منهم تأثيره الخاص في الترهيب من الغيبة والنميمة بما يتسق مع طبيعته الفنية ، وتأثيره الذاتي ، وأن طريق القصة قد اتسم باستحضار صورة العذاب القائمة في عالم الغيب بمن نَمَّ واغتاب ، ونقلها بهولها وفظاعتها إمعانًا في الترهيب والتحذير ، وأن أساليب الاستفهام ، والتقديم ، والشرط ، والنداء ، والتأكيد ، والنهي، والتفضيل كانت من أكثر الأساليب ظهورًا في أحاديث الدراسة ، وكان لكل منها بلاغته الذاتية التي انعكست على المعنى فجعلته أشد تأكيدًا ووضوحًا .

ويوصي الباحثين بتتبع طرق وأساليب عرض المعاني في البيان النبوي ، والكشف عن أثر هذا التنوع في ترسيخها وتمكينها في ذهن المتلقي .

***

Summary

Methods and techniques of intimidation from backbiting and gossip in the prophetic statement

Rhetorical and analytical study

This research examines the methods and methods of intimidation from backbiting and gossip in the prophetic statement through an analytical rhetorical study, and after the researcher noticed the diversity of these methods between the report, the dialogue of all kinds, and the story, and he also noted the multiplicity of those methods between informative and constructive, real and metaphorical, and other technical tools and means .

This research aims to uncover the rhetoric of these methods and techniques , and to clarify their impact and the impact of their diversity on the recipient by probing their depths, penetrating into their folds, and concealing their artistic secrets lurking under them.

In order to reach this goal, the research followed the inductive descriptive and analytical approach, as it extrapolated the hadiths in backbiting and gossip, and followed them based on observational observation of the methods of their presentation, then described them according to their various methods that follow them, then chose from them evidence that covers and represents these methods, then analyzes The methods included in these methods will thoroughly analyze their characteristics and rhetorical secrets, and this research concludes from it that the diversification in methods and methods of presentation has met the needs of all recipients, he promoted their understanding of different souls and the diversity of their preparations, which ultimately led to the comprehensiveness of the influence, the general recognition of the ferocity of backbiting and gossip, and the seriousness of their behavior, and that the dialogue path was characterized by a diversification in its presentation methods between absolute dialogue, dialogue associated with gesture, and associated with the investment of appropriate opportunities. Both of them have a special effect of intimidation from backbiting and gossip in a way that is consistent with its artistic nature and its own influence, and that the path of the story has been characterized by evoking the image of torment existing in the world of the unseen by those who have slandered and backbiting, and conveying it with its horror and atrocity, with a further intimidation and warning, and that the methods of interrogation, presentation, condition, and calling, emphasis, prohibition, and preference were among the most apparent methods in the hadiths of the study, and each had its own rhetoric that reflected on the meaning, making it more affirmative and clear .

Researchers recommend tracing the methods and techniques of presenting meanings in the prophetic statement, and revealing the effect of this diversity in establishing and enabling them in the mind of the recipient.

***

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا (محمد) النبي الأمي الأمين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن تقدم المجتمعات وازدهارها ، مرهون برقي قيمها ، وسمو أخلاقها ، ولما كان الإسلام حريصًا على تقدم مجتمعه وازدهاره ، فقد مَكَّنَ لهذا الرقي الأخلاقي بالحث على الأخلاق الحميدة ، والترغيب فيها من ناحية ، وبالزجر من مساوئها والترهيب منها من الناحية الأخرى .

ولا شك أن الغيبة والنميمة من أشد هذه المساوئ ، وأفتكها أثرًا ، لما ينشراه من العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع ، ولما يترتب عليهما من تمزيق أواصر الود والمحبة والوئام بين أبنائه ، بما يفسد البناء الإسلامي، ويفت في عضده ، وينخر في أسس بنيانه ، لذا فقد لاقى الترهيب منهما ، والتنفير من أثرهما عناية بالغة من المُشَرِّع الإسلامي .

والناظر في البيان النبوي يجد توافر هذه العناية من خلال التنويع في طرق الترهيب وأساليبه ، فجاءت الطرق متنوعة بين التقرير ، والحوار بأنواعه ، والقصة ، والأساليب متنوعة بين خبرية وإنشائية ، وحقيقية ومجازية ، وغير ذلك ، وقد اندمجت هذه الأساليب مع الطرق السابقة ، وجعلت الترهيب من الغيبة والنميمة يبلغ أقصى الغايات الممكنة ، ويتناسب مع طبيعتهما الذاتية ، فالغيبة والنميمة من الآفات المتسلطة على النفس ، المحببة من القلب ، إذ يستسيغ الإنسان القيام بهما ، ويستسهل الإقدام عليهما ، وهذا ما استدعى أن يأتي الترهيب النبوي منهما على هذا القدر من التنوع ليقوى على مواجهة سلطانهما على النفس ، وينهض بدفع لذتهما من القلب ، وطرد استساغتهما من الطبع .

وعلى ذلك فقد جاء بحثي بعنوان : (طرق وأساليب الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي) دراسة بلاغية تحليلية ، مدفوعا بأسباب محفزة لدراسته أهمها :

١- إرادة الوقوف أمام الطرق والأساليب النبوية في الترهيب من الغيبة والنميمة بالقراءة البلاغية المتأنية التي تميط اللثام عن جزءٍ من أثرها الفاعل في التأثير على المتلقي ، وتمكين المعنى داخله، ذلك أن الرسول ﷺ لم يكن غرضه من بيانه مجرد إيصال المعنى فقط ، بل ترسيخه وتأكيده في الأفهام حتى يتحقق الامتثال .

٢. الرغبة في تسليط الضوء على مقابح هذين الخلقين الذميمين ، بإبراز عناية الرسول ﷺ بترهيبه وتحذيره منهما .

٣. عدم وجود دراسة متخصصة . فيما وقعت عليه . لهذا الموضوع تخصص النظر فيه ، بصورة دقيقة مركزة ، تكشف جوانبه الفنية ، وخصائصه الأسلوبية ، وتظهر أهدافه الخُلُقِية .

ولا نهدف من وراء الدراسة البلاغية لطرق ووسائل الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي المفاضلة بين طريق وآخر ، أو بين أسلوب وآخر ، فهم جميعًا في الكمال والإجادة كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، ولكل منها سياقه الذي يتطلبه ، وتأثيره الذاتي الخاص ، النابع من طبيعته الفنية التي تجعله الأبلغ في مكانه ، والأجدر في موقعه، ولكن نقصد بيان بلاغة توظيف الرسول ﷺ لهذه الطرق ، وبراعة استثماره لتأثيرها الفعال في النفاذ بمعنى الترهيب من الغيبة والنميمة إلى قلب المتلقي ، وإرساء أثرهما الخطير في نفسه ، ونهدف كذلك إلى الكشف عن بلاغة الأساليب الموظفة داخل هذه الطرق ، وإظهار خصائصها الفنية ، وسماتها الجمالية التي نقلت المعنى بكل دفقاته ومنعطفاته إلى المتلقي في براعة ودقة .

وقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي ، إذ استقريت الأحاديث الواردة في الغيبة والنميمة وتتبعتها تتبعًا قائمًا على الملاحظة الراصدة لطرق عرضها ، ثم قمت بتوصيفها حسب طرقها المختلفة الآتية عليها ، ثم اخترت شواهد تغطي تلك الطرق وتمثلها ، ثم قمت بتحليل الأساليب المندرجة تحت هذه الطرق تحليلاً بلاغيًا يكشف عن الخصائص الفنية لها ، والدلالات الكامنة وراءها ، مع الكشف عن أثر هذه الطرق في التأثير على المتلقي ، وتمكين المعنى بداخله. وجعلت طريق التقرير أولاً لأنه الأكثر ورودًا في البيان النبوي ، وطريق الحوار ثانيًا لأنه أقل منه ، ثم كان طريق القصة في النهاية لأنه الأقل ورودًا .

وعلى ذلك فقد جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وفهارس، تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع ، والدافع إلى دراسته، والمنهج المتبع ، والخطة التي سرت عليها ، وجاء التمهيد ليوضح مفهوم عنوان الدراسة من خلال مطلبين :

الأول بعنوان : المقصود بالطرق والأساليب .

والآخر بعنوان : المقصود بالغيبة والنميمة .

ثم جاء المبحث الأول بعنوان : طريق التقرير وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي ، **ويشتمل على ثلاثة أحاديث :**

أولًا : حديث (إن من أربى الربا ...) .

ثانيًا : حديث (يا معشر من ءامن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه...).

ثالثًا : حديث (لا يدخل الجنة قتات) .

والمبحث الثاني بعنوان : طريق الحوار وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي) ، **ويشتمل على ثلاثة مطالب :**

١. المطلب الأول : طريق الحوار المطلق وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .

أولًا : حديث (أتدرون ما الغيبة ...) .

آخِرًا : حديث (حسبك من صفية كذا وكذا...) .

٢. المطلب الثاني : طريق الحوار المقترن بالإشارة وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .

حديث (حدثني بأمر اعتصم به...) .

٣. المطلب الثالث : طريق الحوار المقترن باستثمار الفرص الملائمة وأساليبه في الترهيب من الغيبة في البيان النبوي .

حديث : (جاء الأسلمي ...) .

المبحث الثالث بعنوان : طريق القصة وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي :

أولًا : حديث (إنهما ليعذبان ...) .

آخِرًا : حديث (لما عُرِجَ بي ...) .

ثم جاءت الخاتمة ، وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، ثم فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

وختامًا فإن هذه العناية النبوية بالترهيب من الغيبة والنميمة لمن أقوى الدلائل على رحمته ﷺ بأمته ، وحرصه على سلامتها ونجاتها في دنياها وآخرتها ، إذ لا يُحَذِّر من طريق الضلال إلا الرحيم المحب ، ولا يُرَهِّب من المفسد الضار إلا الحريص المشفق ، وصدق الله عز وجل إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ (سورة التوبة آية ١٢٨) .

***

التمهيــد

إطلالة على عنوان الدراسة

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : المقصود بالطرق والأساليب .

المطلب الآخر : المقصود بالغيبة والنميمة . .

المطلب الأول : المقصود بالطرق والأساليب

تنظر هذه الدراسة في الصورة التي رَهَّبَت من معنى الغيبة والنميمة في البيان النبوي ، وهذه الصورة بتلك النظرة تتكون من بُعدين : الأول : الصورة الخارجية التي تحوي المعنى ، وتغلفه بإطارها الشامل، والآخر : الصورة الداخلية التي تتكون منها الصورة الخارجية ، وعلى ذلك فإن المقصود بالطرق هنا : الإطار الشامل ، والهيئة العامة التي جاء المعنى عليها ، وبالأساليب : كيفيات التعبير المختلفة التي تتشكل بها الطرق ، وتبنى بها ، وتقوم عليها[١] .

فالعلاقة بين الطرق والأساليب . كما هو واضح . علاقة عموم وخصوص قائمة على التداخل والاندماج والتفاعل.

والناظر في الطرق والأساليب التي أتى عليها معنى الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي يجد أن الطرق قد جاءت على ثلاثة أنواع هي : التقرير ، والحوار بأنواعه ، والقصة ، وأن الأساليب قد تعددت وتنوعت فشملت الأساليب الحقيقية والمجازية ، والخبرية والإنشائية ، وغير ذلك ، من عناصر فنية ، وأدوات تعبيرية لغوية ، كان لها أبلغ الأثر في نقل المعنى ، وتمكينه في ذهن المتلقي .

وإذا كانت الأساليب على هذا القدر من التنوع والتعدد بحيث يطول مقام التعرض لها ، وحصر أنواعها ، وبيان أثرها ، فإن البحث سيرجئ الحديث عنها ، وعن قيمتها الفنية إلى حين ظهورها في مواطنها من شواهد البحث، بينما ستفرد الدراسة الحديث الآن عن أنواع الطرق ، وقيمتها الفنية لقلتها من ناحية ، ولكونها الصورة الكبرى للمعنى من ناحية أخرى ، وذلك على النحو التالي :

---

[١] ينظر طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص ، د/ بن عيسى بن طاهر ، ص ٢٢ ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الثانية والعشرون ، ١٤٢٢ . ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠١ . ٢٠٠٢م .

١. طريق التقرير :

يقصد به ((بيان المعنى بالعبارة))[١] الواضحة المباشرة ، التي تُباين طريق الحوار والقصة ، فمن خلاله تُساق الموضوعات ، وتُعرض الحقائق للمتلقي[٢] بطريق مباشر تتوالى فيه الألفاظ ، وتتتابع العبارات في انسجام وترابط ، وتكمن القيمة الفنية لطريق التقرير في تمكينه للمعاني ، وترسيخه للأفكار في العقول ، ذلك أن المعاني والأفكار حين تلقى مباشرة على الذهن الواعي ، والعقل المدرك ، فإنها سرعان ما تتثبت فيها وتتعمق .

٢. طريق الحوار :

يطلق الحوار على ((الكلام المتبادل بين طرفين))[٣] ، ولهذا الطريق تأثير فاعل في تحقيق استجابة المتلقي ، واستمالته ذلك أنه (يخاطب الجانب العقلي في الإنسان من جهتين إحداهما : عرض الحقيقة نفسها ، وهو موضوع المحاورة ، والجهة الأخرى المباراة بين المتحاورين ، والصراع العقلي الذي يدور بينهما ، والحجج التي يتحاوران بها ، وكل ذلك يستدعي من السامع أن يشحذ عقله ، وينشط ذهنه ليتابع هذه المباراة ، كما أن الحوار يخاطب غريزة من أسمى غرائز الإنسان ، لقربها من العقل ، ولصوقها بالمعرفة ، وهي غريزة حب الاستطلاع ، بالإضافة إلى أنه يثير مشاعر الإنسان وانفعالاته)[٤] .

على أن طريق الحوار قد جاء على ثلاث صور ، هي :

. الصورة الأولي : الحوار المطلق :

وهو الحوار المتبادل بين طرفين دون أن يقترن بشيء آخر.

. الصورة الثانية : الحوار المقترن بالإشارة :

وهو الحوار المقترن بالإشارة القائمة على ((التعبير غير اللفظي الناتج عن الحركات الاختيارية للأطراف ، والأعضاء ، وأجزاء الجسم المختلفة))[٥] ، بهدف تمكين المعنى بالإشارة

---

[١] معجم التعريفات للعلامة على بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، ص٥٨، تحقيق ودراسة ، محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، بدون .

[٢] طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص الأسلوبية ص ٣٣ ، بتصرف .

[٣] أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د/ عبد الحليم حفني ، ص١٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .

[٤] السابق ص٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، بتصرف .

[٥] العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال ، د/ محمد العبد ص ١٠٤ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ط ٢ ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م ، نقلا عن التعبير الإشاري في الشعر الجاهلي ، د/ عبد المجيد الإسداوي ، بحث بمجلة الدراسات العربية كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، العدد (٢٦) يونيه ٢٠١٢م .

المعبرة التي تنطبع في الذهن، وذلك كأن يمسك الرسول ﷺ لسانه بيده ، للتحذير من خطره ، والترهيب من أثره.

. الصورة الثالثة : الحوار المقترن باستثمار الفرص الملائمة [١] :

وهو الحوار المقترن بتوظيف الفرص والموجودات المتاحة وقت الخطاب[٢] ، لتأكيد المعاني ، وترسيخها في العقول ، وذلك كأن يستثمر الرسول ﷺ وجود جيفة حمار في التنفير من الغيبة ، فيجعل اقترافها أشد في القذارة والدناءة من الأكل منها .

٣. طريق القصة :

القصة نوع أدبي و((شكل من أشكال التعبير النثري له خصائصه التي تميزه عن فنون النثر الأخرى ، وتختلف هذه الخصائص باختلاف نوع القصة وموضوعها وقالبها ، ولكنها بشكل عام تتخذ من الحدث مادة لتسرد الحديث حوله ، معتمدة على عنصر الشخصية التي تتعامل مع الحدث ، وتسير به من مقدمته إلى نهايته ، وكل ذلك مرتبط ببيئة معينة ، وزمان محدد ، ومساق لغاية أو هدف معين))[٣] .

وللقصة النصيب الأكبر ، والحظ الأوفر بين الطرق والأنواع كافة في استقطاب المتلقي ، وجذبه إلى الإحاطة بالأحداث ومتابعتها حتى النهاية ، ومن ثم ((يمكن للقاص بها أن يقرر المبادئ ، ويُمَكِّن الأهداف ، لأن لها أثرًا في النفوس يواكب فطرتها في مدارج الحياة))[٤] .

وهذا التنوع لطرق العرض والأساليب التي عبرت عن معنى الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي يتناسب مع حال (النفوس المتباينة في طبائعها ، والمختلفة في تفكيرها ، واستعداداتها النفسية والثقافية ، فالتعامل مع النفس البشرية جذبًا أو دفعًا أمر يحتاج إلى معرفة الوسيلة المناسبة على غرار المعرفة الأكيدة بالنفس ذاتها)[٥] ، فكل طريق من الطرق السابقة ، وكل وسيلة من الوسائل التي وظفت في الترهيب من الغيبة والنميمة لها قيمة فنية خاصة ، وهذه القيم المتنوعة قد

---

[١] ينظر البلاغة النبوية ، د/ محمد رجب البيومي ، ص١٩٧، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

[٢] ينظر بلاغة الأداء في البيان النبوي ، د. محمد علي فرغلي الشافعي ، ص١٠٢ ، مطبعة الشروق بالراهبين ، ط١ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م ، بتصرف يسير .

[٣] مدخل إلى النقد الأدبي الحديث ، د/ شلتاغ عبود شراد ، ص ١٧١ ، دار مجدلاوي ، ط ١ ، ٢٠١٠ . ٢٠١١م .

[٤] الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، د/ عز الدين السيد ، ص ٤٤١ ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ . ١٩٧٣م .

[٥] طرق العرض في القرآن ، الأهداف والخصائص الأسلوبية ،ص ٢٠ ، بتصرف .

تتلاقى لتحاصر المتلقي الواحد في جميع حالاته ، ومختلف استعداداته ، فتنتزع منه الاقتناع والتسليم ، إذ يصادف مع كل طريقة أو أسلوب أثرًا مختلفًا ، ومن ثم تحصل لديه استجابات مختلفة – كذلك – بفضل ضرب كل طريقة وأسلوب على وترٍ مختلف من أوتار الإحساس لديه ، وقد تتوزع هذه القيم لتقتنص كل قيمة منها الاستجابة من جميع المتلقين على اختلاف مشاربهم ونوازعهم ، وذلك عبر ما يحدث من توافق بين كل قيمة ، وكل متلقٍ على حدة ، فمن لا يتأثر بطريق أو أسلوب ، يتأثر بطريق أو أسلوب آخر ، (فقد يُطْلبُ من المرء أمرٌ فلا يستجيب له ، ثم يطلب منه هذا الأمر نفسه بأسلوب آخر فإذا هو يستجيب ، لأن الأسلوب الآخر يحمل إثارة لمشاعره ، بأي صورة تلائم هذه المشاعر ، وقد تكون هذه الصورة من قبيل الترغيب في أي لون من ألوان الإغراء والترغيب ، وقد تكون من قبيل الترهيب في أي لون من ألوان التخويف والوعيد ، فالإنسان واقع تحت عوامل عديدة متنوعة بعضها عقلي ، وبعضها مادي ، نابع من ماديات الإنسان في تكوينه ، وبعضها من المشاعر والانفعالات ، وهكذا)[١] .

وعلى ذلك فالطرق والأساليب السابقة لها قيم فنية ذاتية كامنة فيها ، وهذه القيم قد تستميل مجتمعةً متلقيًا ما ، وقد تستميل قيمة منها متلقيًا دون قيمة أخرى، ويكون لهذه القيمة المفردة حينئذٍ من قوة التأثير ، وعمق الاستجابة ، ما يحقق الهدف المقصود من سوق الفكرة في أساسها .

كما أن هذا التنوع في عرض معنى الترهيب من الغيبة والنميمة يؤكد أن الرسول ﷺ قد تخطى ببيانه مجرد إيصال المعنى ، إلى الفنية في إيصاله ، هذه الفنية التي يجتهد بها ((المبدع في الكيفية حتى يتعدد نوع الأداء ويزدهر نمط التعبير عن المعنى))[٢] ، ومرد هذه الفنية (عناية المبدع بطريقة الإيصال بما يكون المتلقي معه مطلاً على المعنى بحسب كيفية إيصاله)[٣] ، وكل هذا يعكس العبقرية التعبيرية للرسول ﷺ والتي استطاع من خلالها أن يستقطب متلقيه، ويجعله يقبل على معناه الديني بكل تشوق وتفاعل ، فالمبدع حين يوظف تلك الطرق والأساليب ليعبر عن (المعنى من خلالها ، أو الإيحاء بالمعنى عبرها ، فإنه يكشف عن عبقريته في توظيف تلك الطرق والأساليب واستثمار فنيتها العالية ، كونه فيها يضفي عليها أبعادًا أخرى ، فيجعلها في النص منبع التعبير عن المعنى ، وإذ يأتي المتلقي لكشفها ، إنما يستوحي منها الأبعاد التعبيرية الجديدة التي أضافها مبدع العمل الفني ، بما جعلها في سياق العمل جديدة ، وفي سياق التعبير عن المعنى

---

[١] أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د/ عبد الحليم حفني ص ٤٤ ، ٤٥ ، بتصرف .

[٢] مناهج النقد البلاغي ، قراءة وتطبيقات ، د/ رحمن غركان ، ص ١٠٨ ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ،١٤٣٧هـ . ٢٠١٦ م .

[٣] السابق الصفحة نفسها ، بتصرف يسير .

جديدة أيضًا)[١] .

وفي النهاية فإن توظيف الرسول ﷺ لتلك الطرق والأساليب بما بينها من فوارق بينية في قيمتها الفنية ، يعكس حرصه[٢] على تمكين الترهيب من الغيبة والنميمة في نفوس الذين يشملهم الخطاب ويعمهم ، فهذا التنويع في طرق العرض إنما يقصد منه ((مخاطبة كل عوامل التأثير في الإنسان من عقله ، وغرائزه ، ووجدانه))[٣] ، و((لا غنى للداعية عن تنويع أساليب عرضه والتفنن في وسائل تبليغه ، حتى يجد كل مخاطب لدى الداعية ما يلمس مواطن التأثير فيه ، ويصل إلى الاقتناع به والاستجابة له))[٤] .

المطلب الآخر : المقصود بالغيبة والنميمة

١ . معنى الغيبة :

الغيبة في اللغة اسم من الاغتياب يقال : ((اغتاب الرجل صاحِبَهُ اغتيابًا إذا وقع فيه ، وهو أن يتكلم خلف إنسان مستورٍ بسوء أو بما يَغُمُّهُ لو سَمِعَهُ، وإن كان فيه ، فإن كان صِدْقًا فهو غِيبَةٌ ، وإن كان كَذِبًا فهو البَهْتُ والبُهْتانُ))[٥] فهي بمعنى : ((أن تَذكُر الإنسان في غَيبتَه بسوءٍ وإن كان فيه))[٦] .

وهي من أكثر الرذائل (انتشارًا في الناس ، حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس ، وذكرك فيه بما يكرهه عام ، سواء كان في بدنه ، أو دينه ، أو دنياه ، أو نفسه ، أو خلقه ، أو ماله ، أو ولده ، أو والده ، أو زوجه ، أو غلامه ، أو خادمه ، أو ثوبه ، أو مشيه ، أو حركته ، وبشاشته ، وعبوسته، وطلاقته ، أو غير ذلك مما يتعلق به ، سواء ذكرته بلفظك أو كتابتك ، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك ونحو ذلك)[٧] .

---

[١] السابق ص ١٢١، بتصرف يسير .

[٢] ينظر وسائل الإيضاح المادية في الحديث النبوي الشريف جمعًا وترتيبًا ودراسةً ، هنادة محمد القاضي ، ص٢٥ ، رسالة ماجستير، بكلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠١ م .

[٣] أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، ص ٤٩ .

[٤] أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهاجًا ، د. عبد الغني محمد سعد بركة ص١١٠ ، مكتبة وهبه، ط١ ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

[٥] لسان العرب : غيب .

[٦] ينظر فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، الجزء الثامن عشر ، ص ٤١٧ ، دار الرسالة العلمية ، ط ١ ، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م .

[٧] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، المسمى بالكاشف عن حقائق السنن ، للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي ، تحقيق ودراسة د/ عبد الحميد هنداوي ، ج ٨ ، ص ٣١١٨، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط١ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م

٢ . معنى النميمة :

النَّمُّ: ((رفعُ الحديثِ عَلَى وَجْهِ الإشَاعةِ والإفْسادِ))[١] .

فالنميمة بمعنى : ((نقل الحديث من قومٍ إلى قومٍ على جهة الإفساد والشر))[٢] ، وهي لذلك ((مبنية على الكذب والحسد والنفاق ، وهي أثافي الذل ، فينبغي أن يبغض النمام ، ولا يوثق به ، وبصداقته))[٣] .

٣. الفرق بين الغيبة والنميمة :

((اختُلِفَ في الغيبة والنَّميمة هل هما متغايِرَتان أو مُتَّحِدَتان؟ والراجح التَّغايُر، وأنَّ بينهما عُمومًا وخصوصًا وجهيًا ، وذلك لأن النميمة : نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه ، سواء كان بعِلمِه أم بغير علمِه ، والغِيبة : ذِكْره في غَيبَتِهِ بما لا يُرضيه ، فامتازَتِ النميمة بقصد الإفساد، ولا يشترط ذلك في الغِيبة ، وامتازت الغيبة بكَونِها في غَيبة المقُول فيه ، واشتركتا فيما عَدا ذلك))[٤] .

إذن هما متغايران من حيث المعنى ، ولكن قد يتداخلان إذا زال هذا التغاير، بأن كان الكلام المنقول بقصد الإفساد ، وبما يكرهه المقول فيه ، مع غيبته ، فيجوز حينئذ أن نسم الكلام بالغيبة والنميمة معًا .

وعلى هذا الأساس سيتم الّنظر إلى الأحاديث الواردة داخل الدراسة ، فما كان خالصًا للغيبة جعلناه لها ، وما كان خالصًا للنميمة قصرناه عليها ، وما أمكن فيه الجمع بين السلوكين جعلناه لهما .

٤ . حكم الغيبة والنميمة :

تظاهرت الأدلة على أنَّ الغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين[٥] ، لما يترتب عليهما من

---

[١] اللسان : نمم .

[٢] تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي ، للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، مراجعة وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف ، ج ٦ ، ص ١٧٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون .

[٣] ينظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، ج٨ ، ص ٣١١٥ .

[٤] السابق ج ١٨ ، ص ١٧٣ .

[٥] ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٨ ، ص ٤١٨ ، وقد ذكر العلماء أن هناك حالات تجوز فيها الغيبة ، وهي : التظلم ، والاستعانة على تغيير المنكر ، والاستفتاء ، والتعريف ، وقد يكون مجاهرًا بفسقه ، وتحذير المسلمين من الشر كجرح المجروحين من الرواة والشهود ، والإخبار بغيبته عند المشاورة ، وإذا رأيت من يشتري شيئًا معيبًا تذكره للمشتري ، ونحو ذلك ، ينظر شرح سنن أبي داود لابن رسلان ، تصنيف شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان الشافعي ، تحقيق عبد التواب بدوي عبد السلام ، محمود عبد التواب جمعه، المجلد ١٨ ، ص ٦٠٢ ، دار الفلاح للبحث العلمي ، وتحقيق التراث ، ط١ ، ١٤٣٧هـ . ٢٠١٦م.

ضررٍ عظيم للفرد والجماعة على حدٍ سواء ، إذ يطعنان في دين المرء ، ويدلان على ضعف إيمانه ، ويشيران إلى خسته وحقارته، وانعدام مروءته ، كما يبثان الضغينة والعداوة بين المسلمين، الأمر الذي يترتب عليه ضعفهم وشتاتهم .

لذا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتُرَهِّب من مزاولة هاتين الآفتين ، لئلا ينخرا في كيان المجتمع ، فيهدما أركانه ، ويقوضا بنيانه .

وقد نوعت الأحاديث النبوية في طرق ترهيبها ، وأساليب تحذيرها ، وكيفيات تنفيرها ، لتحاصر المتلقي ، وتوقفه على عظيم خطرهما ، وفداحة عقابهما ،ومن ثم تربي في نفسه الخوف والرهبة من الميل إليهما ، أو اقترافهما، إذ ((يعتبر الخوف من أكثر الدوافع الإنسانية قوة))[١] ، وأشدها فاعلية في زجر الإنسان وردعه ، خاصةً إذا علمنا أن لهاتين الآفتين ميلٌ من النفس ، وتعلقٌ من القلب ، لذا استوجب أن يجابه هذا الميل والتعلق بهذا التنويع ، فعظم الهدف وفخامة الغَرض ، استلزم عِظَم العَرض وفخامته ، الأمر الذي يعكس حرصه ﷺ على سلامة أمته من العقاب الذي سيحل بمن يقوم بهما ، ومن الضرر الذي سيلحق المجتمع بسببهما .

---

[١] فن الإقناع ، هاري ميلز ، ص١٤٥، مكتبة جرير ، ط١ ، ٢٠١٤ م.

المبحث الأول
طريق التقرير وأساليبه في الترهيب من
الغيبة والنميمة في البيان النبوي

ويشتمل على ثلاثة أحاديث :

أولًا : حديث (إن من أربى الربا ...) .

ثانيًا : حديث (يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ...).

ثالثًا: حديث (لا يدخل الجنة قتات).

أولًا :
حديث (إن من أربى الربا ...) .

عن سعيد بن زيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(إنَّ من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق)[1] .

يُرَهِّب الرسول ﷺ في هذا الحديث من الخوض في أعراض المسلمين بغير حق ، وقد ساق الترهيب في صورة منفرة تجعل النفس تتعافاه وتدرك شدة حرمته ، وفداحة عاقبته ، إذ أدخله في (الربا) ، وجعله ضمن أنواعه ، ثم جعله أشد تلك الأنواع ضررًا ، وأحدها أثرًا .

وقد آثر الرسول ﷺ في عرض هذا المعنى ، طريق التقرير ؛ ليجعل خطابه ينفذ بسرعة خاطفة إلى عقل المتلقي ، ويترسخ في قلبه في وضوح وقوة ، وبنى هذا الطريق على عدة أساليب تكونت من التأكيد ، والتقديم والتأخير ، والتفضيل ، والاستعارة ، والتي تعاضدت مع بعضها البعض وتآزرت . بما لكلٍ منها من قيم فنية . في إخراج المعنى على أتم صورة من النصاعة والبيان .

---

[1] سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، كتاب : الأدب ، باب : في الغيبة ، رقم (٤٨٧٦) ، ج٣ ، ص ٢٧٣ ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ،١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

وجاءت "إنَّ" المؤكِّدة في بداية كلامه ﷺ مراعية حال المخاطب المنفعل بالمعنى المساق له ، فإذا كان حال المخاطب هو الدهشة والاستغراب من جعل الخوض في أعراض المسلمين بغير حق من أشد أنواع الربا ، فإن "إن" المؤكدة قد جاءت لتواجه هذه الدهشة ، وتزيل هذا الاستغراب وتؤكد له الكلام منذ البداية ، وتجعل هذا التأكيد يسري في أوصال متعلقيها (الاسم، الخبر) ، الحاملين للمعنى .

وقد أتى تقديم الخبر . المتضمن للوصف والحكم . (من أربى الربا) بما يحمله معناه من بلوغ ذروة الربا ، والوصول إلى نهايته ، ليرسم . منذ البداية . صورة منفرة تتفق مع المغزى العام الذي يهدف الحديث إليه ، وهو التنفير من الخوض في الأعراض والتحذير منها ، وليشوق المتلقي لمتابعة الكلام حتى إذا ما انتهى إلى السلوك والفعل المتصف بالوصف السابق أدرك غاية حرمته، ونهاية شناعته ، وتمكن في عقله في رسوخ وقوة ، إذ أتاه بعد طلبٍ له ، وسعيٍ للحصول عليه .

وعندما نتأمل في دلالات الخبر المقدم (أربى الربا) نجد أنها بلغت الغاية في تبشيع الوصف ، والنهاية في تشنيعه ، إذ قام في بنائه على أفعل تفضيل اشتق من مصدره المضاف إليه ، وهذا الاشتقاق يدل على فخامة الوصف ، وعظم الأمر وفداحته ، وذلك ببلوغ هذا الفعل المشتق من جنسه مبلغ الذروة ، فإذا علمنا أن الجنس هنا (الربا) من أشد المحرمات ، تبين لنا أن الوصف (أربى) في نهاية تضاعف الشدة من المحرمات ، وأزيدها جُرْمًا . وهكذا يشكل الرسول ﷺ الأشياء تشكيلاً جديدًا ، ويخلع عليها ما ليس من جنسها ، ثم يجعلها تتفوق على الجنس الداخلة عليه ، وتبزه في الفداحة والحرمة وصولاً إلى شدة الترهيب والتحذير ، (فالاستطالة على الأعراض) ألحقت بالربا ، ثم ما لبثت أن كانت أشد أنواعها شناعًة وقبحًا ، فقد أدخل الرسول ﷺ ((العرض في جنس المال على سبيل المبالغة ، وجعل الربا نوعين : متعارفًا : وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون ، وغير متعارف : وهو استطالة الرجل باللسان في عرض صاحبه ، ثم فضل أحد النوعين على الآخر))[١] .

ولاشك أن هذا التشكيل الذي خالف المألوف ، وغاير المعتاد قد انتزع من المتلقي التسليم والاقتناع بعظيم خطر الغيبة والنميمة باعتبارها مظهرًا من مظاهر الخوض في الأعراض ، وبث في نفسه الرهبة من اقترافهما ، أو الميل إليهما ، كما أن هذا التشكيل الطريف يكشف من ناحية أخرى عن شدة تعلق النفوس بالخوض في الأعراض ، واستساغتها لها ، ومن ثم كان لابد من تشكيل جديد يهز السامعين ، وينهض بمجابهة هذه الاستساغة ، واستلالها من قلوبهم.

ودخول (من) المفيدة للجنس على أفعل التفضيل ومصدره (من أربى الربا) ، تمعن في تحقيق

---

[١] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، ج ٨ ، ص ٣٢١٧ .

وسم الاستطالة بأزيد الزيادات ، وتأكيد جعلها من صميمها ، فالمعنى ((من أزيد الزيادات التي تتجاوز عن الحد الاستطالة في عرض المسلم الذي هو أقوى من ماله))[١] .

وبعد أن تمكن الخبر المقدم بحمولاته الدلالية المفعمة بكل معاني التنفير والتحذير ، وبما فيه من جدة وطرافة ، يأتي الاسم المؤخر (الاستطالة في عرض المسلم بغير حق) ليكشف عن السلوك المتسم بالوصف السابق ، ويلصق الاستطالة في عرض المسلم بأزيد الزيادات في باب المحرمات، ويلحقها بأشدها بشاعةً وشناعة ، ولفظة (الاستطالة) التي تصدرت السلوك السابق تحمل من قوة الصوت ، وثراء الدلالة ما يجعلها تنهض بالمعنى المسوقة له في دقة وقوة .

فهي بمعنى التطاول[٢] أي الاعتداء[٣] والتهجم[٤] ، والمقصود منها هنا (إطالة اللسان)[٥] ، ومن ثم فهي تتكون من صورة دقيقة مكثفة تشكلت بعناية وفن ، لتصور الخوض في العرض ، في وضوح وبراعة ، فأصلها الاستطالة في الكلام على طريق الاستعارة المكنية إذ شُبه الكلام بشيء محسوس يطول ويمتد ، ثم انتُقِل من الاستعارة إلى المجاز المرسل ، فذكِر اللسان بدلاً من الكلام على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الآلية ، لأن اللسان آلة الكلام ، وهو مجاز يبرز خطر اللسان ، ويسلط الضوء على دوره الرئيس في التسلط على المسلمين بالغيبة والنميمة وفعل ما يؤذيهم ، وينتهك حرماتهم .

فالاستطالة بهذا المعنى تدل على ((احتقار المسلم ، والترفع عليه ، والوقيعة فيه بنحو قذفٍ أو سب))[٦] أو غيبة أو نميمة ، فهي تمثل إيذاءً للمسلم وإضرارًا به ، لذا جعلها الرسول ﷺ من أشد أنواع الربا المحرمة .

ونقل الإمام الطيبي عن القاضي عياض أن معنى ((الاستطالة في عرض المسلم أن يتناول منه أكثر مما يستحق على ما قيل له ، أو أكثر ما رخص له فيه ، ولذلك مثله بالربا ، وعده من

---

[١] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفي سنة ١٠١٤هـ، تحقيق الشيخ جمال عيتاني ، المجلد التاسع ، ص ٢٤٦ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .

[٢] اللسان : (طول) .

[٣] الوجيز : طال .

[٤] اللسان : (طول) .

[٥] عون المعبود على شرح سنن أبي داود ، تأليف العلامة أبي عبد الرحمن شرف الحق العظيم آيادي محمد أشرف بن حيدر الصديقي ، ص ٢٢٤٢ ، مراجعة وتدقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني ، دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .

[٦] السابق الصفحة نفسها .

عداده، ثم فضله على سائر أفراده ؛ لأنه أكثر مضرةً وأشد فسادًا ؛ فإن العرض شرعًا وعقلاً أعز على النفس من المال وأعظم منه خطرا ؛ ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض مالم يوجب بنهب الأموال))[١] .

وعلى هذا فمعنى الاستطالة (الزيادة في تناول أعراض المسلمين) ، وهذا الكلام . من الإمام القاضي عياض . من الممكن أن يتقبل لو لم يُذكر القيد (بغير حق) في نهاية الحديث ، إذ إن الزيادة في تناول الأعراض لا تجوز بحق كانت أم بغير حق ، أما تناول الأعراض دون زيادة بحق، فيجوز لسبب وضرورة تستدعي ذلك .

كما يدفع تفسير القاضي عياض لمعنى الاستطالة كذلك ، ما أورده أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر السَّبَّتان السَّبَّة))[٢] .

فقد جعل هذا الحديث الشريف الاستطالة من أكبر الكبائر دون أن يكون في الكبائر معنى الزيادة على الأصل الموجودة في الربا ، وإن كان فيها معنى العظم في الذنب ، والفداحة في الجُرْم.

إذن المعنى اللغوي الموجود في لفظة (الربا) والذي فسر (القاضي عياض) الاستطالة في ضوئه ، لا ينسحب على المعنى اللغوي الموجود في الكبائر ، لذا فمن الأولى أن تفسر الاستطالة . كما سبق . بالتعدي على الأعراض ، والوقيعة فيها بغير حق ، وهذا الذنب من العظم والشدة ما يجعله يوازي أربى الربا ، وأكبر الكبائر ، ويكون الحديث الشريف قد سمى الاعتداء على الأعراض استطالةٌ تنبيهًا على أن أي تناول للأعراض ، أو خوض فيها يعد تهجمًا على حرمات المسلمين ، وتجاوزًا على حقوقهم ، وكل ذلك مما يتنافى مع خلق المسلم الذي ينتظر منه أن يحافظ على إخوانه، ويترفع عن أمثال هذه الرذائل والدنايا .

وتعدية الاستطالة بمعنى التعدي والتهجم بـ (في) دون (على) يصور شدة تمكن هذه الاستطالة من العِرض ، وشدة نيلها منه ، وكأنها قد أحاطت به إحاطة الظرف بالمظروف إيذاءً وضررًا .

كما أن في قوله : (عرض) استعارة مكنية شُبه فيها العرض بشيء محسوس ، يُعتدى عليه ، ثم حذف المشبه ، وأشار إليه ببعض لوازمه وهو الاستطالة ، وهي استعارة تكشف بالصورة المحسوسة عن فداحة الضرر الذي يلحق بالعرض ، وكأنه شيء مشاهد تناله معاول الهدم والتحطيم حتى ترديه وتهلكه ، وهو ما ينعكس على الصورة المعنوية للعرض ليبرز فداحة الضرر

---

[١] شرح الطيبي عل مشكاة المصابيح ، ج ٨ ، ص ٣٢١٨ .

[٢]. سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في الغيبة ، رقم (٤٨٧٧) ج٣ ، ص٢٧٤ .

والإيذاء الذي يلحقه جراء الخوض في عرضه .

وإضافة العرض المعتدى عليه إلى لفظة (المسلم) فيها تبشيع وذم لمن يقوم باغتيابه ونميمته والخوض في عرضه ، إذ المسلم أحق بالصون والحفظ والستر من أن ينال بغيبة ونميمة ، أو أن يخاض في عرضه .

ويأتي القيد (بغير حق) في النهاية لينبه ((على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال ، وذلك مثل قوله ﷺ ((ليُّ الواجدِ يُحل عرضَه)) فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه إنه ظالم وإنه متعد ونحو ذلك، ومثله ذكر مساوئ الخاطب والمبتدعة والفسقة على قصد التحذير))[1] .

وبهذا ينتهي هذا الحديث الذي رَهَّبَ فيه الرسول ﷺ من الاستطالة في أعراض المسلمين بغير حق، متخذًا في سبيل ذلك طريق التقرير الذي نقل المعنى إلى المتلقي في مباشرة ووضوح ، وتسلسل منسجم، ومستعينًا بالأساليب اللغوية من شرط ، وتفضيل ، وتقديم وتأخير، واستعارة ، مما ساعد في النهاية على ترسيخ المعنى ، وتثبيته في ذهن المتلقي في وضوح وقوة .

---

[1] عَونُ المعبود على شرح سنن أبي داود ، ص ٢٢٤٢.

ثانيًا :

حديث : (يا معشر مَن آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه...).

ثانيًا : حديث (يا معشر مَن آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه...)

عن أبي برزة الأسلمي ، قال : قال :رسول الله ﷺ ((يا معشرَ من آمَن بلسانِه ، ولم يدخلِ الإيمانُ قلبَه ، لا تَغتابُوا المسلمينَ ، ولا تَتَّبِعوا عوراتِهم، فإنه من اتبع عوراتِهم يتبعِ اللهُ عورتَه ، ومن يتبعِ اللهُ عورتَه ، يفضَحْهُ في بيتهِ))[١] .

يقصد الرسول ﷺ في هذا الحديث الترهيب من آفتي الغيبة والتجسس ، والحض على البعد عنهما ، وقد عرض الرسول ﷺ معناه بالاعتماد على طريق التقرير، وساقه عبر مجموعة من الأساليب الفنية ، والوسائل التعبيرية التي رسخته ، وجعلته في غاية التمكن والرسوخ لدى المتلقي .

وكان على رأس هذه الأساليب أسلوب الإنشاء الذي تكرر ظهوره ثلاث مرات بما يعكس الشدة في الترهيب ، والقوة في التنفير .

ولم يتوجه الرسول ﷺ إلى تحريم الغيبة والتجسس ، والنهي عنهما مباشرة ، بل مَهَّد لهما تمهيدًا ضاعف من فداحة أثرهما ، وتبشيع صورة من يأتيهما .

وقد أتى هذا التمهيد من خلال قوله : (يا معشرَ مَن آمن بلسانِه ، ولم يدخل الإيمانُ قلبَه) ، فينادي الرسول ﷺ على طائفة من الناس وسموا بالنفاق ، والكذب ، ومخالفة جوهرِهم لظاهرهم ، إذ آمنت ألسنتُهم ، ولم تؤمن قلوبُهم ، فلم تعمل بمقتضى هذا الإيمان ، ولم تلتزم بما يدعو إليه .

والنداء في صدارة هذا التمهيد يحمل معنى الذم والتوبيخ للمنادين المتصفين بتناقض فعل لسانهم ، وحال قلوبهم ، وإيثار (يا) التي لنداء البعيد تؤذن ببعد هؤلاء عن نهج المؤمنين الصادقين، وتؤكد ضلالهم باتباعهم طريق المنافقين الفاسقين ، كما أن هذا النداء في المفتتح ((يهيئ المنادى وينبهه فيصغي بعناية وتشوق إلى ما يوجه إليه بعد النداء ، ويترقبه ويتطلع إلى معرفته والإحاطة به))[٢] .

ويأتي المنادى (معشر) بمعنى الجماعة[٣] والطائفة المعينة لتجعل النداء القائم على الذم والتوبيخ منصبًا نحو طائفةً مخصوصة ، وهذا ما يمعن في إبرازهم تشهيراً بهم .

والتعبير بالاسم الموصول (من) يوغل في إبراز هؤلاء الموصوفين ، ويمعن في تسليط الضوء

---

[١] سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، باب : في الغيبة ، رقم : (٤٨٨٠) ،ج٣ ، ص ٢٧٥ .

[٢] التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه ، د / بسيوني عبد الفتاح فيود ص ٣١ ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

[٣] اللسان : عشر .

عليهم بما يتناسب مع مقام التنفير والتحذير من صنيعهم ، والذم والتوبيخ لهم .

وتأتي جملة الصلة (آمن بلسانه ، ولم يدخلِ الإيمانُ قلبَه) لتكشف عن الوصف المشين لهذه الجماعة التي يخصها الرسول ﷺ في هذا الحديث ، وهو تعبير كنائي عن النفاق أو نقص الإيمان . كما سيأتي . يكشف عن التناقض الظاهر ، والتباين التام بين ألسنتهم وقلوبهم .

وأول ما يلاحظه المتلقي في الاسم الموصول وصلته هنا ، ، أن الرسول ﷺ قد عَدَل عن الجمع (يا معشر) إلى الإفراد في قوله : (من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمانُ قلبَه) إذ كان المقتضى أن يقال : (يا معشر الذين أمنوا بألسنتهم، ولم يدخل الإيمان قلوبَهم) ، وهذا العدول يُفرِدُ كلَ واحدٍ من هؤلاء بالذكر ، ويجعل الحديثَ وكأنه موجهٌ إليه خاصةً ، فيكون أشدَ في الذم ، وأحدَ في الإنكار والرفض ، وأدعى لدفعه إلى النظر والتأمل في حالته المتناقضة المزرية ، عله يفيق ويرتدع .

ومن ثم كان العدول أبلغ في هذا السياق بدلًا من التعبير بالجمع ، إذ لا يحقق بما فيه من عموم وشيوع ما حققه الإفراد من تحديد وحصر .

وقد جاء بناء الصورة المتناقضة للمنافق أو ناقص الإيمان كاشفًا عن شدة التنافر بين قوله ، ويقينه في قوة ووضوح ، فالطرف الأول منها (آمن بلسانه) تؤكد بماضوية فعلها على تحقق هذا الإيمان البادي وثباته فيه ، وباء الاستعانة الداخلة على اللسان في (بلسانه) تصور استعانته بهذا اللسان في ترديده لهذا الإيمان الظاهري ، في كلامه ، وتُعَرِّض بتشدقه وتيهه به .

واللسان مجاز مرسل علاقته الآلية إذ ذكر اللسان وأراد الكلام لعلاقة الآلية ، وهو مجاز يضاعف من الإنكار على هذا المنافق الذي يحرك لسانه بما يُشعر بإيمانه .

والطرف الثاني لهذه الصورة المتناقضة (ولم يدخل الإيمان قلبه) يأتي على نفس الوتيرة من قوة الوضوح ، فابتدأه ﷺ بواو الحال إيذانًا بالكشف عن حالته الباطنية الخفية المصاحبة لحالته الظاهرية البادية ، وتأتي (لم) النافية الداخلة على الفعل المضارع (تدخل) ، لتنفي دخول الإيمان قلبه ، والنفي هنا يشمل الماضي والحال[1] فالإيمان لم يدخل قلبه لا في الزمن الماضي ، ولا وقت الخطاب ، وهي دلالة زمنية ترتد على الفعل الماضي السابق (آمن) لتقوم بتعرية هذا الإيمان ، وتكشف عن استمرار افتعاله وزيفه ، إذا ما قوبل بالنظر إلى أثره في القلب ، كما تصور مدى الاضطراب والتناقض الذي يعيش فيه هذا المنافق ، وعدم مطابقة ظاهره لباطنه .

هذا وقد اختلف الشارحون حول المقصود من النداء وما بعده في قوله ﷺ (يا معشر من ءامن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه) هل يُقصد المنافقون ، أو يقصد المسلمون الفاسقون الموسومون

---

[1] ينظر أساليب النفي في القرآن ، د/ أحمد ماهر البقري ، ص ١٠٩، دار المعارف ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

بضعف الإيمان ، فـ ((هذا النداء وما بعده يدل على أن الصفات والأفعال التي ستذكر لاحقا " غيبة المسلم وتتبع عورته " من شعار المنافقين ، أم من سمات ناقصي الإيمان ، ونظيره في كلام الله عز وجل﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ (الحجرات ١٤) ، حيث فسرت الآية بأن المقصود بها أناس منافقون . وهو قول البخاري واختياره .، أو المقصود مؤمنون ناقصو الإيمان ، لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ، لديهم ضعف في الإيمان ، وليسوا من المنافقين ، ومثل ذلك يقال في مُراد النبي ﷺ في هذا الحديث ، بأن هذه الأفعال قد تدل على نقصٍ أو تكون مؤشرًا على النفاق))[١] .

فالإمام الطيبي جعل هذا الوصف للمنافقين ، بينما جعله صاحب مرقاة المفاتيح للفاسقين ناقصي الإيمان ، واعترض على الإمام الطيبي في توجيهه ، واحتج عليه بما ذكر في الرواية الأخرى[٢] لهذا الحديث . والتي اعتمد عليها الإمام الطيبي أيضًا (فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته) ، إذ إن لفظة الأخ تنص على أن المراد الفاسق الضعيف الإيمان ، وليس المقصود المنافق إذ لا أخوة بين المنافق والمسلم ، يقول : ((ولا أخوة بين المنافق والمسلم ، فما اختاره الطيبي من حصر حكم الحديث على المنافق خلاف الظاهر الموافق ، والحكم بالأعم هو الوجه الأتم))[٣] ، بيد أن الإمام الطيبي قد احترز لصحة توجيهه بقوله : ((فإن قلت : ما النكتة في ذكر " أخيه " في قوله : (عورة أخيه المسلم) ؟ فإن الكلام مع المنافقين ، وهم ليسوا بأخوة المسلمين ، قلت : ومن تتبع ..... إلى آخره ، كالتتميم للكلام السابق والمبالغة فيه ، كأنه قيل : ومن يتبع من المسلمين عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ، ولو في جوف رحله ، فكيف بالمنافق))[٤] ، ولكن كما هو ظاهر أن صاحب المرقاة لم يعتد بهذا الاحتراز من الإمام الطيبي وَوَجَّه المراد إلى الفاسقين ناقصي الإيمان ، دون المنافقين .

وإذا تأملنا في توجيه الإمام الطيبي ، من أن المقصود بالنداء في قوله : (يا معشر من ءامن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه) المنافقون ، ووضعنا هذا التوجيه بإزاء لفظة (المسلمين) في

---

[١] توجيهات ووصايا نبوية ، الشبكة الدولية للمعلومات ، موقع إسلام ويب ، تاريخ النشر ١٥ . ٢ . ٢٠١٧م .

[٢] وهي : ((يا معشر من ءامن بلسانه ، ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تُعيِّروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه مَن يتبع عورة أخيه المسلم يتَّبع اللهُ عورتَه ، ومن يتبعِ الله عورتَه ، يفضحه ولو في جوفِ رَحْله)) ينظر ، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، ج٨ ، ص ٣٢١٥ ، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح , ج ٩ ، ص ٢٤٥ .

[٣] مرقاة المفاتيح ، ج ٩ ، ص ٢٤٥ .

[٤] شرح الطيبي ، ج ١٠ ، ص ٣٢١٧ .

قوله ﷺ : (لا تغتابوا المسلمين) ، نجد أن الأولى . بناء على هذا التوجيه . أن يعبر بالمؤمنين دون المسلمين ، حتى ينسجم الوصف (الإيمان) مع التوجيه (المنافقين) ، وذلك لأن الذم والتوبيخ في التمهيد قد توجه إلى المنافق الذي ءامن بلسانه دون قلبه ، وهذا قد يدخل فيه المسلم ناقص الإيمان، لذا فإن الأحرى حينئذٍ أن يعبر بالمؤمنين دون المسلمين حتى يتم الفصل القاطع ، والتباين التام بين الفريقين ، وعلى هذا فإن الخطاب النبوي الشريف قد عدل عن المؤمنين إلى المسلمين ليحقق فائدتين :

الأولى : أنه يُخرج المغتابين والمتتبعين للعورات من دائرة المسلمين والمؤمنين ، ويحصرهم في فئةٍ تعرف بهم ، وهي فئة (المنافقين) إمعانًا في تشنيع حالهم ، وتقبيح صورتهم ، فلا ينتسبون لا إلى المسلمين على كثرتهم، ولا إلى المؤمنين على قلتهم .

الأخرى : أنه يوسع دائرة النهي ، ويدفع إلى التوقف عن الاغتياب للمؤمن والمسلم على حدٍ سواء ، ويعضد إرادة هذه العمومية في النهي ما جاء في الرواية الأخرى (لا تؤذوا المسلمين) بدلاً من (لا تغتابوا) ليشمل الإيذاء كل أنواع الضرر إذ تنسحب العمومية على الوصف (الإيذاء)، وعلى عموم النوع (المسلمين) كذلك .

وإذا تأملنا . في المقابل . في توجيه صاحب (المرقاة) ووضعنا لفظة (المسلمين) الواردة في الحديث بإزاء هذا التوجيه ، نجد أنها آتيةٌ على الأصل ، ويكون المقصود من الطائفة المذكورة في التمهيد (المسلمين الفاسقين ناقصي الإيمان) وبالمسلمين هنا ((الكاملين في الإسلام))[1] ، والنكتة البلاغية المرادة حينئذٍ تبكيت الفريق الأول ، وتشنيع حاله ، بجعله في جهة مقابلة للمسلمين الصادقين .

وتأتي الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (يدخل) في (ولم يدخل الإيمان قلبه) لتصور عدم تمكن الإيمان ، وعدم استقراره في قلب هذا المنافق ، إذ شُبه عدم تمكن الإيمان من قلبه بعدم الدخول ، بجامع عدم الثبات والتمكن ، وهي تفيد عدم مجاوزة الإيمان للِّسان ، وتوقفه عند هذا العضو دون أن يتمكن من قلبه ويتثبت ، فينعكس هذا التمكن على أفعاله ، فلا يأت بما يناقضه ، ولا يرتكب ما يخالفه ، كما سيأتي .

ووضع القلب في مقابلة اللسان ، وإثبات الإيمان للِّسان ، ونفيه عن القلب يعمق من فداحة المفارقة التي عليها هذا المنافق ؛ إذ لم يترك الإيمان بلسانه وقلبه جملةً فيخرج من هذه الدائرة المذمومة ، ولم يسلم بلسانه مع قلبه جملة كذلك فيَسْلَم ، بل ظل متذبذبًا مشتتًا مضطربًا ، يقول بلسانه بما لا يتفق مع ما في قلبه ، ويؤمن بقلبه بما لا ينطق به لسانه .

---

[1] مرقاة المفاتيح ، ج ٩ ، ص ٢٤٥ . .

وهذا مما يمعن في تصوير حالته المزرية المنفرة التي يبتعد عنها كل عاقل ، ويجتنبها كل ذي فطرة سليمة .

وبعد هذا التمهيد المُشَوِق الذي استدرج من خلاله الرسول ﷺ المتلقي واستماله نحوه ، بما فيه من ذم وتوبيخ بالنفاق ووسم به، يُرَتّب الرسول ﷺ عليه نهيين مرتبطين به ، ومنبثقين منه ، هما : (لا تغتابوا المسلمين) ، (ولا تتبعوا عوراتِهم) .

وهذان النهيان بما فيهما من قوة في الزجر، وحسم في الحض على الترك ، يتناغمان بقوة مع لهجة المواجهة الحادة التي سيطرت على لهجة التمهيد السابق ، كما أن ترتبهما عليه يؤكد على أنهما علاماتان من علامات النفاق ، ومعلمان من معالمه .

كما أن ارتباط التمهيد السابق بما فيه توبيخ وذم للمنافقين ، بالنهيين الآتيين بعده بما فيهما من طلب للكف عن الغيبة والتجسس ، يوغل بهذين النهيين في الترهيب ويجعلهما في أقصى درجات التحذير والتنفير ، وهذا أدعى إلى الامتثال والإذعان لما ينهيان عنه ، وأعد أيها القارئ صياغة الحديث على أسلوب آخر ، أو على ترتيب آخر للكلام غير الأسلوب والترتيب الذي أمامنا ، وقل على سبيل المثال : من يغتاب المسلمين ، ويتتبع عوراتِهم فهو من المنافقين ، أو من ناقصي الإسلام ، ستجد أن التحذير سيضعُف ، والتنفير سيفتُر ، وهذا من بلاغته ﷺ في التنفير من الأخلاق المرذولة ، إذ يجعلها في أقصى درجات التبشيع والتشنيع .

ويأتي النهي الأول (لا تغتابوا المسلمين) : متصدرًا بلا الناهية بما لها من أثر عظيم في النهي والتحذير لتقرع أذن المتلقي ، وتلفته إلى وجوب الكف عن فعل ما ، وحتمية الابتعاد عنه ، ومجانبة اقترافه ، ثم يأتي الفعل (تغتابوا) ليوضح المنهى عنه ، ويضعه بهيئته وحمولاته المشينة أمام المتلقي لينطبع داخل عقله ووجدانه .

والمتأمل في احتضان التمهيد السابق . الذي نودى فيه على مجموعة من المنافقين الذين ءامنوا بألسنتهم دون قلوبهم . للنهي عن الغيبة هنا ، وانبثاق الثاني من الأول ، يدرك مدى الامتزاج التام ، والتلاحم الكامل بين المنافق والمغتاب ، فالمغتاب الذي يخوض في أعراض الناس ، ويؤذيهم ، ولا يصون حرماتهم ، ما هو إلا منافق يظهر الإيمان ، ويبطن الفسق والفجور، فالغيبة بذلك دليل على ضعف الإيمان ، وفساد العقيدة .

وهكذا جاء النهي عن الغِيبة عقب النداء بالنفاق ليؤكد العلاقة الوطيدة بين هذين الخُلُقَين ، وليبرهن على أن الغيبة ما هي إلا انعكاس للنفاق الذي يملأ قلب المغتاب ، وأنها هي التي تفضحه وتشهد على فجوره وفسقه وإن آمن بلسانه ، وهذا مما يبالغ في التنفير من الغيبة ، ويجعل المتلقي في نهاية المطاف في غاية الامتثال للنهي .

ومجيء الفعل المنهي عنه (تغتابوا) في صيغة المضارع يستحضر مشهد الغيبة المنهي عنها، ويجعلها متجددة مستمرة تواجه المتلقي ، وتحاصره في كل وقت ، فلا يملك سوى الامتثال للنهي ، ومن ثم الابتعاد عن الغيبة ، والامتناع عن مزاولتها ، كما يلاحظ المتلقي أن الكلام قد عاد مرة أخرى بصيغة الجمع بعد العدول إلى الإفراد السابق في (من ءامن) ، وهذا مما أضفى على سَبْكِه تماسكًا وتلاحمًا ، وعلى حَبْكِه إحكامًا وترابطًا، إذ صار النهي موجهًا إلى الجميع مرة أخرى كما شملهم النداء قبل ذلك في قوله ﷺ (يا معشر) .

ولم يأتِ النهي عن الغِيبة هنا على إطلاقه ، بل جاء مقيدًا بـ (المسلمين)، وهذا القيد يمعن في تقبيح صورة المغتابين إذ يجعلهم في جهة مقابلة للمسلمين ، فلا يلتحقون بهم ، ولا ينتمون إليهم ، وهذا فيه مزيد من التبشيع لحالهم ، والتشنيع عليهم .

هذا ومجيء الغِيبة في صدارة الكلام بعد التوبيخ السابق القائم على الاتهام بالنفاق أو عدم إخلاص الإسلام ، وجعلها أول ما يقرع الأسماع بعده يكشف عن دناءة فاعلها ، وفساد عقيدته ، وهذا ما يمعن في الترهيب منها وجعلها في المستوى الأعلى من الاجتناب والنفور .

ويأتي النهي الآخر في هذا الحديث (ولا تتبعوا عوراتِهم)[1] معطوفًا بالواو على النهي السابق (ولا تغتابوا المسلمين) ، ليدخل معه في الوسم بالنفاق الوارد في التمهيد ، وليجتمع معه في التدليل على عظم خطره ، وفداحة أثره ، ومن ثم المبالغة في التنفير من الإقدام على التجسس، وتطلب عورات المسلمين ، وتقصي عيوبهم ، والبحث عنها ، والاهتمام بفضحها وإظهارها .

وقد اقترن هذا النهي بالنهي السابق ، وأتى في عقبه ، لأن تتبع العورة : وهي كل (ما يستره الإنسان استنكافًا أو حياءً)[2] يستلزم إظهارها وإشهارها بين الناس ، وهذا يتداخل مع الغِيبَة التي يذكر فيها المغتاب ما يكرهه الغائب ، كما أن تتبع العورات يشترك مع الغيبة في إيذاء المسلمين ، وإلحاق الضرر بهم ، ويتسبب في إشعال نار العداوة بين أفراد المجتمع المسلم القائم على التماسك والود والتراحم ، كما يتحد معه في الكشف عن تهاوي الإيمان، وخبث النفس .

ولأن تتبع العورات ، وتطلب المعايب ، والبحث عن المساوئ لإظهارها وإفشائها ، والسعي بجد وحرص في التنقيب عما يرغب الإنسان المسلم في ستره وإخفائه ، أشد شناعة ، وأحد ضراوة من الغِيبَة ، وأدل على خبث النفس ، وفساد الطوية ، فقد خصه الرسول ﷺ ببيان العقاب المؤكد الذي سيحل بمن يقوم به ، وذلك في قوله: ﷺ (فإنه من اتبع عوراتِهم ، يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته ، يفضحه في بيته) ، فالجزاء من جنس العمل ؛ إذ يتكفل الله (عز وجل) بفضحه بين

---

[1] تتبع الأمر : تطلبه شيئا بعد شيء في مهله ، المعجم الوجيز (تبِعَ) .

[2] المعجم الوجيز : (العَوْرَةُ) .

الناس، وإبراز مساوئه وعيوبه ، وإن احتاط في سبيل إخفائها بكل ما وسعه من حيلة وجهد ، فالله عز وجل ((يفضحه ويكشف حاله وذنوبه في المكان الذي يستتر فيه عن الناس))[١] .

وقد أتت صورة معنى العقاب هنا على أتم وجه من التأكيد والوضوح ، إذ اعتمدت على جملتين شرطيتين سلمت الأولى المعنى إلى الثانية في ترابط وتلاحم ؛ فـ ((أسلوب الشرط ينطوي على معنى ذي طبيعة ثنائية مزدوجة ، يتحقق لطرفيها ارتباط منطقي ؛ إذ يكون أحدهما سببًا في الآخر، ولا يفهم هذا الآخر إلا بوصفه نتيجة منطقية مترتبة على الأول ، فلا تحدث إلا به ، وترد أداة الشرط لتبلور رابطًا لفظيًا جامعًا بين الطرفين المشار إليهما))[٢] ، بالإضافة إلى ما يبثه الشرط من التشويق ودفع المتلقي إلى التلهف لمعرفة الجواب بعد سماع الشرط ، كما اعتمدت على التكرار الذي عمق مدلول الألفاظ في ذهن المتلقي ، بالإضافة إلى المشاكلة في قوله: (يتبع الله عورته) أي كشف ستره[٣] بما للمشاكلة من أثر جمالي آخاذ ((يكمن في اعتمادها على حركة الذهن في الربط بين الدوال في المستوى السطحي ، والمدلولات في المستوى العميق وذلك لأنها لا تتحقق إلا بالمصاحبة التي تنتج من التماس الواقع بين الدوال ، وبالضرورة لابد أن يؤدي الخيال مهمته في تحقيق المصاحبة التماثلية والضدية على صعيد واحد، لكنه لا يؤديها على نحو ما هي عليه في المجاز))[٤] ، وكذلك التكميل في قوله : (في بيته) الذي يؤكد تمام إدراك الله عز وجل له بالفضيحة، حتى وإن اجتهد في الاختفاء والتستر .

وكفى بهذا العقاب زجرًا وردعًا ، فالله عز وجل هو الذي يتولى أمر هذه الفضيحة التي تعد جزاءً وفاقًا على ما اقترفه المتتبع لعورات الناس ، لاسيما وأن الكلام قد عاد إلى الإفراد مرة أخرى ؛ وذلك ليجعل المواجهة بين الله عز وجل وبين كل متتبع للعورات على حدة ، وهذا ما يضاعف من التنفير من الإقدام على ذلك الفعل المشين .

وينتهي هذا الحديث الذي رَهَّب فيه الرسول ﷺ من آفتي الغِيبَة والتجسس ، وقد اتخذ طريق التقرير الذي نقل المعنى بتمامه إلى المتلقي ، واعتمد على عدد من الأساليب جعلت هذا المعنى في غاية الوضوح والبيان، وكان من أهم هذه الأساليب النداء ، والاستعارة ، والكناية ، والنهي، ثم الشرط ، والتكرار ، والمشاكلة ، وقد جاءت تلك الأساليب على أتم وجه من الانسجام والتناسق الأمر الذي جعل المعنى ينساب إلى قلب المتلقي وعقله محققًا له الإمتاع والإقناع .

---

[١] شرح سنن أ بي داود ، ابن رسلان ،ج ١٨ ، ص ٦٠٨ .

[٢] في صحبة النص ، مختارات ودراسات , د/ طارق شلبي ، ص ٣٢٩ ، دار البراق ، القاهرة ، بدون.

[٣] شرح الطيبي ، ج ١٠ ، ص ٣٢١٦ .

[٤] تحولات البنية في البلاغة العربية ، د/ أسامة محمد البحيري ، تقديم د/ محمد عبد المطلب ، ص ٤٢٨ ، مكتبة النابغة ، ط١ ، ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م .

ثالثًا :

حديث (لا يدخل الجنة قتات).

حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنا سفيان عن مَنصُور عَنْ إبراهيمَ عَنْ هَمّامٍ قالَ كُنا مع حُذَيْفَةَ فقيل لَهُ إن رجُلا يَرْفَعُ الحَديثَ إلى عثمانَ فقالَ حُذيفَةُ سمِعتُ النَّبيَّ صَلّى اللهُ عليهِ وسلَّم يقُولُ : **((لا يَدخُلُ الجنَّةَ قَتّاتٌ))**[1] .

يعتمد الرسول ﷺ في هذا الحديث على طريق التقرير القائم على أسلوبي النفي والتقديم والتأخير ليُرَهِّب القتاتَ من سوء عاقبته بنفي دخوله الجنة .

وقد اتسمت نبرة الحديث بالشدة والحزم التي تعكس القوة في النفي ، والشدة في تأكيده .

ورغم قصر المساحة المكانية لهذا الحديث إذ تَشَكَّلَ من جملة واحدة مكونة من ثلاث كلمات مسبوقة بحرف النفي (لا) ، إلا أنه قد اكتظ بالظلال الدَّلالية المكثفة التي عملت على نقل المعنى في براعة ودقة ، وهذا من بلاغة التنويع في طرق عرضه ﷺ لمعنى النميمة ، فتارة يعبر عن هذا المعنى بالحديث ذات الجمل المتتابعة ، التي تأسر المتلقي بعمق دلالتها ، وبانسيابية تسلسلها ، وأخرى يعبر عنه بحديثٍ قائم على جملة واحدة ، تقذف بالمعنى دفعةً واحدة إلى عقل المتلقي وذهنه فتملأ عليه أقطار نفسه ، فلا يملك سوى هضم معناها ، والتشبع بشحنتها الدلالية العميقة ، ذلك أن ((الجمل التي تحمل شحنة دلالية معينة تكون مكثفة وقصيرة))[2] .

والناظر في هذا الحديث يجد أنه أقيم بناؤه على أسلوب النفي بما يضفيه على المعنى من قوة في الإثبات ، وتأكيد في الحكم ، فـ ((المعنى المعبر عنه بأسلوب النفي أقوى مما لو عبر عنه بالإثبات))[3] ، وآثر البيان النبوي "لا" النافية لما لها من خصائص لغوية تجعلها الأبر بهذا السياق إذ تفيد (الشمول والاستغراق والتأبيد ، كما أنها الأخف والأكثر استعمالاً من بين أدوات النفي)[4] ، كل هذه الخصائص تجعل "لا" النافية تتربع على عرش هذا المقام الذي يهدف إلى الترهيب من

---

[1] صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من النميمة وقوله تعالى : هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ١١ ، وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١ ؛ رقم :(٦٠٥٦) ، ص ١٥١٧، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م ، والقتات : هو النمام ، قت الحديث إذا زوره وهيأه وسواه ، وقيل النمام : هو الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم عليهم ، والقتات : هو الذي يسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم ، ينظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، ج ٨ ، ص ٣١١٥ .

[2] الجملة في الشعر العربي ، د/ محمد حماسة عبد اللطيف ، ص ٣٠٢ ، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م .

[3] أساليب النفي في القرآن ، د/ أحمد ماهر البقري ، ص ١٩.

[4] ينظر في ذلك في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، ص ٢٤٨ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٤م ، وينظر قراءة في الأدب القديم ، د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٠٧ ،مكتبة وهبه ، ط٢ ، ١٩٩٨م ، بتصرف.

سوء عاقبة القتات بنفي دخوله الجنة على سبيل التأبيد .

ودخول (لا) النافية على الفعل المضارع (يدخل) يعطي دلالة زمنية مستقبلية تمعن في بيان سوء العاقبة ، وفداحة المآل ، فالمتلقي يدرك تمامًا أنَّ زمن دخول الجنة أو عدم دخولها إنما يكون بعد موته وبعثه ليحاسب على ما قدمت يداه ، وهذه الدلالة الزمنية ترهب المتلقي ، وتدفعه دفعًا إلى تجنب الفعل المترتب عليه المنع من دخول الجنة .

والتعبير النبوي الشريف (لا يدخل الجنة قتات) أبلغ من غيره في هذا السياق ، فهو أبلغ من التعبير بالقول : (يمنع دخول الجنة القتات) ، لأن النفي بـ (لا) بما يفيده من التأبيد ، وامتداد زمن النفي أمعن في الدلالة على دوام استحالة دخول الجنة .

كما أنه أبلغ من التعبير بـ (يدخل النار القتات) لأن التنصيص على نفي الدخول للجنة أمعن في التنديم والتحسير له ، لأن نفي دخوله الجنة يستلزم سوقه إلى النار ، وذكر الجنة في التعبير النبوي يرسم أمام عينيه المفارقة الفادحة بين صورة من يدخلون الجنة في فرحٍ وابتهاج ، وصورة من يدخلون النار في ذلة وانكسار ، كما أن التعبير النبوي يدل على تيئيسه وتعجيزه من أي أمل له في دخول الجنة ، بخلاف (يدخل النار القتات) إذ قد يفهم منه أنه دخول مؤطرٌ بزمن معين ، ثم يخرج منها إلى الجنة ، فيكون عنده ولو أدنى أمل ، ومن ثم كان التعبير النبوي الشريف أوكد في ترهيب القتات ، وأدل على شدة زجره عن ممارسة هذه الآفة الشنيعة .

كما أنّ الجزم بالحرمان من الجنة كدلالة مكانية ذات ظلال محببة إلى النفس تطمع في دخولها، والتنعم بملذاتها ؛ يؤكد على بشاعة العقاب ، وفداحة الجزاء ، مما يدفع النفس إلى المسارعة في اجتناب هذا الذنب الذي يحول بينها وبيم دخول الجنة.

ويأتي تقديم المفعول (الجنة) على الفاعل (القتات) لِيُعَجِل بذكر العقاب ويجعله ماثلًا بقوة ووضوح أمام المتلقي ، وليشوقه من ناحية أخرى لمعرفة الوصف المترتب عليه العقاب السابق ، مما يعمل على تثبيت هذا الوصف – المشتمل على الجُرم – في الذهن لأنه أتى بعد طلب له ، وسعي للحصول عليه .

ولاشك أن هذا التقديم يدل على عناية الرسول ﷺ بالترهيب من الاتصاف بهذه الصفة ، وحرصه على التحذير من اقترافها ، وحض النفوس على مجانبتها والابتعاد عنها .

وتأتي لفظة (القتات) في نهاية المطاف . بقوة صوتها ، وحدة جرسها . لتعين الشخص المُعَذَّب بالحرمان من دخول الجنة ، ولتحدده بأنه النمام الذي ينقل الأحاديث على وجه الإفساد بين الناس، لإشاعة الشقاق والبغضاء بين أفراد المجتمع المسلم .

ومجيء هذا الوصف على صيغة المبالغة يرصد كثرة قيامه بهذا الفعل المحظور ، وطول

ملازمته له ، وهذا ما يكشف عن فساد إيمانه ، وخبث طويته ، وهذه الصفات . لاشك . تتناقض جملةً وتفصيلا مع صفات أهل الجنة المتسمين بصدق الإيمان ، وسلامة الطوية ، والحرص على استقرار المجتمع الإسلامي وتماسكه ، ومن ثم يلحظ المتلقي الانسجام الظاهر بين الفعل (النميمة)، وعقابها (الحرمان من دخول الجنة) ، وهذا ما يجعله يحذر من إتيان هذا الفعل الشنيع ، ويحرص على اجتنابه والبعد عنه .

وبهذا ينتهي هذا الحديث الشريف الذي رَهَّب فيه الرسول ﷺ من النميمة معتمدًا على طريق التقرير الذي أوجز المعنى ، وأداه في وضوح وقوة ، وموظفًا لأسلوبي النفي والتقديم والتأخير اللذين أسهما في إخراج هذا المعنى على أكمل صورة .

المبحث الثاني

طريق الحوار وأساليبه في الترهيب من
الغيبة والنميمة في البيان النبوي

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : طريق الحوار المطلق وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .

المطلب الثاني : طريق الحوار المقترن بالإشارة وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .

المطلب الثالث: طريق الحوار المقترن باستثمار الفرص الملائمة وأساليبه في الترهيب من الغيبة في البيان النبوي .

المطلب الأول :

طريق الحوار المطلق وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .

و يشتمل على حديثين :

أولًا : حديث (أتدرون ما الغيبة ؟ ...) .

آخِرًا : حديث (حسبك من صفية كذا وكذا ...) .

أولًا :

حديث (أتدرون ما الغيبة ؟ ...).

عن أبي هُرَيْرَة أن رسُول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ ؟)) قالوا اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ . قال : ((ذِكْرُكَ أَخَاكَ بما يَكرَهُ)) قِيلَ : أَفَرَأَيتَ إن كَانَ في أَخِي ما أَقُولُ ؟ قال : ((إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ فقد اغتَبْتَهُ ، وإن لم يكُن فيهِ فقد بَهْتَّهُ))[1] .

أراد الرسول ﷺ أن يُرَسِّخ مفهوم الغِيبَة في نفوس صحابته الكرام حتى يحذروها ويجتنبوها ، فجاء عرضه لهذا المفهوم في صورة حوار متبادل بينه وبينهم ، ومع علم الرسول ﷺ بجهل الصحابة بهذا المفهوم وعدم درايتهم به ، ومع علمه بأن حق المعنى حينئذٍ أن يعرض عرضًا مباشرًا فيقال : الغيبة هي : ذكرك أخاك بما يكره ، إلا أنه آثر طريقة الحوار لما لها من أثر في لفت انتباه السامع ، وإيقاظ حواسه ، وتنبيهه إلى ما يلقي عليه فيتمكن منه غاية التمكن ، ((لأن المستمع سيجد في الحوار تشويقًا ومتعة لا حد لهما ، ويثير في نفسه مختلف العواطف والانفعالات، كما أن الحوار سَيُلَبي لديه حاجته النفسية ، في حب المعرفة النابعة من حبه لاستطلاع معنى الحوار وأبعاده))[2] .

ولم يقتصر الرسول ﷺ على هذه الدلالات والخصائص التي تحققها طريقة الحوار في عرض المعنى ، بل ضاعف من هذه الدلائل وجعل استعداد المتلقي في أعلى درجات التطلع والدافعية

---

[1] صحيح مُسْلِم للإمام أبي الحُسين بن الحَجّـــاج القُشَيري النّيسابُوري ، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الغيبة ؛ رقم (٢٥٨٩) ، ج ٤ ، ص٢٠٠١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ -١٩٩١م .

[2] القصص في الحديث النبوي ، دراسة فنية وموضوعية ، د/ محمد بن حسن الزير ، ص ٣١٣ ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .

لاستقبال المُلقَى عليه ، من خلال الأساليب اللغوية التي استثمرها في بناء طريقة الحوار، وكان على رأس تلك الأساليب أسلوب الاستفهام الذي ابتدأ حديثه به ، ولذا كان الاستهلال البارع بقوله : (أتدرون ما الغيبة ؟).

مستفتحًا بالاستفهام بالهمزة المعقبة بالفعل (تدرون) ليجعل المسئول عنه هو درايتهم ومعرفتهم بمعنى الغيبة ، وهذه البداية من الرسول ﷺ تعلمنا ((كيف تكون إثارة الانتباه ، وكيف يتم إعداد المخاطب ، وتهيئة ذهنه لتلقي الحقائق والمعلومات))[١] .

وهذا يُدلل على مدى حرص الرسول ﷺ على ترسيخ مدلول آفة الغِيبَة في النفوس ، لما لها من شناعة أثر ، وفظاعة ضرر ، حتى يرهبوها وينفرون منها ، إذ تعمل الغيبة المقيتة على زرع بذور الشقاق بين أفراد المجتمع ، ونشر روح الكراهية والبغض بين أعضائه ، مما يترتب عليه في النهاية تمزيق الأمة ، وهوان أمرها ، وخلخلة النسيج الاجتماعي القائم على الرحمة والحب والمودة ، ويُدلل على ذلك إيثار الفعل (تدرون) دون غيره في هذا السياق ، إذ ((لا يخفى ما تتصل به الدراية من مضمون هذا الحديث الدائر حول قضية تتصل بالعلم الواجب الذي يعد الجهل به غفلة شديدة عن أمر يتصل بصدق الإيمان وقوته وما يرتبط بذلك من نتائج لها خطورتها))[٢] .

والاستفهام بالهمزة يراد به التشويق ودفع الصحابة رضوان الله عليهم إلى الاستشراف والتأهب لمعرفة المقصود بالغيبة ، لأن حقيقتها ومفهومها إذا جاء بعد طلب لها ستتمكن في نفوسهم أشد ما يكون التمكن .

ولذا تأتي الإجابة من الصحابة بقولهم : (الله ورسوله أعلم) ، لتنفي علمهم بإجابة هذا السؤال ، وإحالة هذا العلم إلى الله ورسوله ، وهذه الإحالة المتضمنة التنصيص على الرسول ﷺ ، وهو المحاور لهم بشخصه ، تحمل في طياتها شدة الطلب للإجابة ، ومنتهى حرصهم على سماعها منه بعد أن استثارهم الرسول ﷺ من خلال الاستفهام عنها في بداية كلامه مع علمه بجهلهم لها.

وتأتي الإجابة مباشرة ومحددة من الرسول ﷺ بقوله : (ذكرك أخاك بما يكره) لتضع التعريف أمامهم ، بعد أن أصبحت عقولهم نشطة ، وقلوبهم منفتحة، وآذانهم صاغية ، فاحتل هذا المعنى عقولهم ، وتربع على عرش إدراكهم .

وأول ما نلاحظه من هذا التعريف للغيبة أنه جاء مقتضبًا موجزًا ، يسهل حفظه ، ومن ثم

---

[١] من روائع البيان النبوي دراسة أدبية تحليلية ، د/ مصطفى عبد الواحد ، ص ٥٢ ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م .

[٢] من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف ، د/ فتحية محمود فرج العقدة ، ص٥٧ ، مطبعة الأمانة ، ط١ ، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م .

إدراكه وفهمه ، وهذا من صفات البلاغة النبوية التي توصل المعنى إلى القلب من أقرب طريق ممكن ، وبألفاظ تنساب داخل النفس برقة وسهولة ، وذلك لأنها البلاغة التي ((لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ، ولم يُتكلَّف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة))[1] .

وإذا كانت الدلالة العامة لهذا المفهوم تنحو منحى التنفير من القيام بهذا الفعل ، وتدلل على استهجانه وقبحه ، وتدعو إلى تأديب النفس ، وضبط اللسان ، ومنعهما من الانجراف نحو مزاولته، فإن كل لفظة انتظمت فيه قد تعاونت مع المفهوم العام للتعريف ، وسارت في ركاب تأكيده وتقريره أبلغ ما يكون التأكيد والتقرير .

فلفظة (ذكرك) . والذكر لا يكون إلا باللسان . مبطنة بالإشارة إلى اللسان ، وموحية بدوره الرئيس في اقتراف هذا الذنب ، وشأنه الحيوي في القيام به ، وفي هذا تنبيه على ضرورة تهذيبه ، وتربيته ، وإحكام السيطرة عليه ، وإيقافه عن التعرض للأخ بما يكرهه ، وإمساكه عن البدء أو الاسترسال في ذلك .

ولفظة (أخاك) بما توحي به من أخوة الدين ، ورابطة المعرفة والقرب ، تبالغ في الترهيب من إتيان هذا الفعل ، وتمعن في إبراز شناعته ، ثم يأتي الموصول وصلته في النهاية (بما يكره) ليكمل رسم مشهد المعادلة الفاسدة المنطق ، والممجوجة الطبع ، والتي تتنافى . بكل سبيل . مع أمارات التقوى، وعلامات الإيمان المروءة ، إذ كيف تذكر أخاك بما يكرهه ، وكيف تكون سببًا في إيذائه وإضراره ، والأجدر بك أن تصونه وتحفظه ، وتكون سببًا في عونه وإسعاده .

وكاف الخطاب في (ذكرك أخاك) تمعن في إبراز المفارقة المريرة المترتبة على ارتكاب هذا الذنب ، إذ كيف يَقْبَل الإنسانُ المؤمن المتعلق بربه أن يذكر أخاه بشيء يكرهه ويؤذيه ، وهذا بدوره يعمق من مدلول الإفراد السابق ، ويتعانق معه في التنفير من الغيبة ، والبعد عنها .

وتأمل العدول في هذا التعريف من الجمع في بداية الحديث (أتدرون ما الغيبة) إلى الإفراد (ذكرك) فمقتضى السياق أن يأتي التعريف بالجمع فيقال: (ذكركم إخوانكم بما يكرهون) ، ولكنه عدل ﷺ إلى الإفراد لأن ذلك أحد في التنفير ، وأمعن في الزجر ، وأبلغ في استئصال شأفة هذه الآفة من كافة أفراد المجتمع ، إذ يتوجه التعريف إلى كل أحد على انفراده ، وكأن الكلام موجه إليه خصوصًا دون غيره ، فتنشغل ذاته بدلالته ، وتعتمل ظلاله في عقله ، ومن ثم يقيس هذه الدلالات، وهذه الظلال على نفسه ، بعد أن قوبل بها ، فيرتدع مباشرة إن كان مقترفًا لها ، ويزداد التزامًا إن كان مجانبًا لها .

وإذا عمل كل فرد بمقتضى الابتعاد عنها ، وروض نفسه على عدم التعرض لأخيه بما يكرهه،

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص ٢٣٠ ، مكتبة مصر ، بدون .

سلم المجتمع بأكمله من تبعاتها المرذولة ، وأصبح مجتمعًا متماسكًا يسوده الحب والوئام .

ويأتي حذف عائد الصلة في قوله : (يكره) متوافقًا مع المعنى الذي تحمله العبارة النبوية ، فإذا كانت تصور تغييب ذكر ما يكرهه الأخ في المجالس ، فكذلك غُيِّب عائد الصلة وحذف من العبارة ليتناسب مع التغييب السابق .

وبعد أن بيَّن الرسول ﷺ حقيقة الغِيبَة ، يأتيه سؤال من أحد الصحابة ، يكشف عن تصاعد الحوار وتناميه من ناحية ، وعن تفاعل الصحابة رضوان الله عليهم مع إجابة الرسول ﷺ السابقة ، التي جاءت بعد أن بلغ الشوق بهم ذروته ، ودلالة على كونها في بؤرة اهتمامهم ، ومرتكز انشغالهم من ناحية أخرى .

وهذا السؤال هو : (أفرأيت إن كان في أخي ما أقول:)

تولد هذا السؤال من رحم إجابة الرسول ﷺ لهم ، ولذا فقد جاء تعميقًا للإجابة ، وكاشفًا عن استقصائه لمفهوم الغيبة ، وانعكاسًا لمنتهى فهمه ، وعميق إدراكه لها ، لذا فَرَع هذا السؤال ، الذي يعد رغبة منه في تحرير مسألة الصدق في الغيبة ، وتمام تحقق ما يقال دون افتراء أو كذب .

إذ المعنى : (أخبرني عن حالي إذا كان ما أقوله موجودًا ومتحققًا في أخي) .

كما أن هذا السؤال يكشف عن حرص الصحابي عن استيضاح الأمور في المسائل التي يتهاون فيها ، ولا يكترث بها ، نظرًا لسهولة ارتكابها ، واستساغة النفس لها ، حتى تنجلي الأمور وتظهر غاية الظهور .

وقد تصدر السؤال بالاستفهام بالفعل (أرأيت) وحينما يُسْتَفْهَم بهذا الفعل يكون المراد به ((طلب العلم ، والمعرفة بالأمر الذي سأل عنه ، لذا فهو يسأل رسول الله مستفهمًا بأن يخبره عن القضية التي يسأل عنها ، وأن يبين له حكم الله فيها))[١] ، و((حين يصدر هذا الأسلوب من الصحابة إلى رسول الله ﷺ فذلك دلالة على أدبهم الجم في مخاطبة رسول الله ، وفي التعامل معه ، فليس من طبعهم أن يأمروا رسول الله أمرًا مباشرًا وصريحًا، فقد تربوا أحسن تربية في مدرسة محمد ﷺ ، وقد أدبهم القرآن من قبل ، وأرشدهم إلى الطريقة المثلى في التعامل معه ، وفي توقيره واحترامه ، ولذا فهم لا يتوجهون إليه بالأمر ، ومن هنا فقد جعلوا الاستفهام بـ "أرأيت" وسيلة يتوسلون بها إلى هذا الأمر ، ويحققون من خلالها الأغراض التي تكون في نفوسهم ، ومن هنا فقد كثر ورود هذا الأسلوب في استفهام الصحابة رضوان الله عليهم))[٢] .

---

[١] الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية ، إعداد د/ عبد العزيز بن صالح العمار ، ص ٤١٣ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .

[٢] السابق ص ٤١٥ ، ٤١٦ .

ووجود الفاء التفريعية المكتظة بمعاني السرعة والتعقيب في هذا الفعل تعكس همة الصحابي ، وقوة استعداده ، وتمام استيعابه ، ورغبته في المعرفة السريعة لجواب هذا الحكم الذي يطرحه .

وكأن حرص الرسول ﷺ على تبليغ المعنى ، وتوسله له بطاقات فنية ممثلة في الحوار والاستفهام والاستدراج الذي نشط أذهانهم ، قد قابله حرص من الصحابة على الفهم والاستيعاب ، والتفريع على الإجابة بسؤال يوضح أركان هذه المسألة .

وجاء تقديم خبر كان (في أخي) على اسمها (ما أقول؟) في سؤال الصحابي ليكشف عن شدة اعتنائه بأخيه واهتمامه به ؛ إذ إن الصلة والعلاقة التي تربطه بأخيه تحتاج إلى بيان حدودها ، ومعرفة ما يُبقي أواصرها ، ويحافظ على حرمتها ، لاسيما وأن السائل قد وضع المظهر موضع المضمر فلم يقل إن كان فيه اعتمادًا على ذكرها قبل ذلك في جواب الرسول ﷺ ، وإنما كررها بلفظها تنبيهًا على تمثله لدلالات إعادتها مرة أخرى ، كما أنه أضافها إلى نفسه (أخي) ولم يقل (الأخ) ليمعن في التأكيد على شدة قربه منه ، هذه الشدة التي تستلزم السؤال عن كيفية صيانتها ورعايتها .

وتأتي الإجابة من الرسول ﷺ مباشرة بقوله : ((إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته))[1] ، لتحسم القول في هذا الشأن ، إذ فَصَّلت الإجابة تفصيلاً دقيقًا ، فجاءت مشتملة على ما سأل عنه الصحابي وما لم يسأل .

وقد جاء ذلك في بيان ناصع ، وأسلوب محكم ، ونظم على أتم ما يكون من الترابط والتماسك.

إذ قامت الإجابة على جملتين متناسقتين ، وكان بينهما من التناسب ما جعلهما أسهل في الفهم، وأمكن في الذهن ، فقد اشتركتا في الشرطية ، بما يحققه الشرط في كل جملة من شدة التحام وارتباط وتعلق بين طرفيها ، بالإضافة إلى بث روح التشويق لدى المتلقي الذي يتلهف إلى الجواب بعد سماع الشرط ، مما يجعله أحد انطباعًا ، وأكثر تمكنًا في ذهنه ، بعد أن تمكن منه فعل الشرط قبل ذلك .

واشتملتا معًا على حسن تقسيم ناتج عن استيفاء الأقسام ، فالمتكلم في حق أخيه إما أن يكون ما قاله محققًا فيه ، وإما أن يكون غيرَ محقق , وهذا اللون البديعي له أثر رائع في تمكين المعنى في النفس , بما فيه من (تناسق صوتي بديع ينشأ من الجمل المتساوية ، والأقسام المحددة ، وما

---

[1] بهته : بفتح الهاء مخففة قلت فيه البهتان وهو الباطل ، والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره ، وأصل البَهْتُ أن يقال له الباطل في وجهه وهما حرامان ، صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الغيبة ، ج١٦ ، ص٢١٤ ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

فيها من توازن وسجع غالبًا ، ومن ثم لا يبقى أمام العقل إلا أن يسلم بما عرض عليه ، ويتفرغ لهضمه واستيعابه)[١] .

كما رَتَّبَ الرَسُول ﷺ كلامَه ترتيبًا بلغ القمة في حسن النظم ، وبراعة التناسب ، فقدم خبر كان ويكن (فيه) و (فيه) بما لهذا التقديم من أثرٍ في العناية والاهتمام بالأخ ، وتدليلٍ على وضعه في الاعتبار بالدرجة الأولى ، بالإضافة إلى تناسب هذا التقديم مع التقديم الوارد في سؤال السائل ، مما يبث التناسق وتشابه الترتيب في النظم ، بما يجعله أقرب مأخذًا ، وأشد قبولاً .

ولم يكتف الرسول ﷺ بهذا الترتيب المحكم بل زاد الكلام حسنًا وقبولاً فحذف منه اسم (يكن) (ما تقول) : فنقى بهذا الحذف عبارته من الفضول وجعلها أشد أثرًا ، وأحكم بناءً ، بالإضافة إلى أن هذا الحذف قد أمد الكلام بالتجانس الصوتي الذي يتماشى مع السليقة اللغوية المنضبطة للمتلقي ، والذي يتوقع حدوث هذا الحذف لدلالة السابق عليه مما يحقق له الإطراب والإمتاع ، الأمر الذي يعود في النهاية على المعنى فيجعله أشد تمكنًا في ذهنه .

وبهذا – ومن خلال إجابة الرسول ﷺ – انحصرت المسألة بين الغيبة والبهتان ، فإن كان المذكور متحققًا فتلك الغيبة ، وإن كان المذكور غير متحقق فهذا البهتان ، والتقول عليه بالباطل ، وكلاهما حرام .

ولذا فالأجدى بالإنسان أن يبتعد عن هذا الخُلُق المحظور حتى لا يضع نفسه بين شقي رحى الغيبة والبهتان المحرمتين شرعًا ، والباعثتين على إحداث البغضاء والشقاق والعداوة بين أفراد المجتمع .

وهكذا حقق طريق الحوار المطلق ، وحققت الأساليب المتنوعة في النص الشريف الهدف من جذب المتلقي وترسيخ مفهوم الغيبة والبهتان بأثرهما القبيح الباعث على النفور منهما ، والحذر من مقاربتهما في قلبه وذهنه على أكمل وجه وأتمه.

ولك أن تقف على شدة الاندماج من الصحابة مع الرسول ﷺ في هذا الحوار الذي يُعَلِّمُ به الرسول ﷺ ويُرشد ويَهدي من خلال إزالة قول الراوي ((قال وقيل)) ، وسترى أنه حوار نامٍ متصاعدٍ، وشيق ممتع ، ومفيد مقنع ، وسترى كذلك شدة الانتباه من الصحابة ، وشدة انجذابهم نحوه ، وتفريعهم من إجابته سؤالًا جديدًا ، تدليلًا على قمة الاستيعاب ، وشدة الفهم لما ألقى عليهم.

ولا شك أن هذا الاندماج إنما هو بفاعلية طريق الحوار المطلق التي أقام عليه الرسول ﷺ (حديثه) ، وبأثر الأساليب التي قام عليها هذا الحوار ، والتي تمثلت في الاستفهام ، والعدول ، والشرط ، والتقديم والتأخير ، والتقسيم ، والحذف ، والتي أمدت الحديث بقيم تعبيرية ، وبآثار فنية حققت للمتلقي الإمتاع والإقناع ، مما أدى في النهاية إلى تمام إدراكه لمفهوم الغيبة والبهتان ، وشدة رهبته وحذره منهما .

---

[١] دراسات منهجية في علم البديع ، د/ الشحات محمد أبو ستيت ، ص ٢٤٥ ، ط١ ، ١٩٩٤م ، بتصرف .

آخِرًا :

حديث (حسبك من صفية كذا وكذا ...) .

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : قلتُ للنَّبِي (صلى الله عليه وسلم) حَسْبُكَ مِن صَفِيَّةَ كَذَا وكَذَا ، قال غيرُ مُسَدّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً ، فقال : ((لَقَدْ قُلتِ كَلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحرِ لمَزَجَتْهُ)) ، قالت : وَحَكَيْتُ له إنسانًا ، فقال: ((ما أُحِبُّ أنِّي حَكَيْتُ إنسانًا وإن لي كَذَا وكَذَا))[1] .

يجمع هذا الحديث في طياته الترهيب من الغيبة والنميمة[2] ، وقام في ترهيبه على المواجهة المباشرة ، والردع السريع الحاسم ، معطيًا بذلك درسًا واقعيًا ، وردًا عمليًا في التحذير منهما ، وبيان فداحة فعلهما ، وضراوة تأثيرهما ، فجاء الرد الأول من الرسول ﷺ ليزجر السيدة عائشة رضي الله عنها ، لتلفظها بكلمة في حق السيدة صفية رضي الله عنها ، بما في ذلك من حثٍ على ضرورة إمساك اللسان ، وعدم الخوض في الأعراض حتى في أشد مواطن الغيرة التي يحتد فيها التنافس ، ويشتد فيها التشاحن ، وجاء كذلك الرد الثاني من الرسول ﷺ لينهاها عن معاودة محاكاة الآخرين ، وتقليد فعلهم أو قولهم على سبيل التحقير والذم .

وقد اتبع هذا الحديث في عرض معناه طريق الحوار المطلق الذي نهض بعرضه على أتم وجه وأكمله ، واتخذ الحوار . هنا . مسارًا مباينًا لطريق الحوار في الحديث السابق (أتدرون ما الغيبة) ، فإذا كان السابق قد قام على الحوار المتناوب بين الرسول ﷺ ، وصحابته الكرام ، فمرة يسأل الرسول ﷺ ثم يجيب الصحابة الكرام ، وأخرى يسأل الصحابة ثم يجيب الرسول ﷺ، فإن السيدة عائشة كانت هي البادئة بالقول ، وكذلك بالفعل في كل مرة ، وكان الرسول ﷺ هو المجيب عليها.

وفائدة هذه الطريقة في العرض هنا أنها ترينا القول والفعل بداية ثم تشوقنا وتدفعنا إلى معرفة تعقيب الرسول ﷺ وبته القاطع فيهما ، وكأننا أمام قضية مطروحة ننتظر فيها الحكم ، فإذا جاء كان أمكن في الذهن ، وأثبت في الفؤاد .

والمتأمل في مظهري الغيبة ، من السيدة (عائشة) رضي الله عنها في هذا الحديث يجد أنهما قد تنوعا في الكيفية ، واتحدا في المضمون وهو التحقير والإنقاص من الآخر ، واستحضاره . في غيبته . بما يكره ، وكذلك جاء الرد من الرسول ﷺ متنوعًا في كيفية الرفض ، ومتحدًا في المضمون وهو الترهيب والزجر .

أما عن الأساليب التي اعتمدها طريق الحوار في هذا الحديث قد تنوعت أشكالها وتعددت

([1]) سنن أبي داود ، كتاب :الأدب ، باب في الغيبة ؛ رقم (٤٨٧٥) ، ج٣ ، ص ٢٧٤.

[2] تتداخل النميمة مع الغيبة إذا كان الغرض منها تقليل الغائب في عين من يقال الكلام له.

صياغاتها ، ونهضت بتصوير المعاني المرادة في جلاء ووضوح .

وأول ما يطالعنا منها قول السيدة عائشة (رضي الله عنها) : (حسبك من صفية كذا وكذا) : تأتي هذه الجملة لتعبر في وضوح عن الذم الموجه من السيدة (عائشة) . رضي الله عنها . في حق السيدة صفية رضي الله عنها ، أي يكفيك من "عيوبها البدنية"[١] ، وصفاتها الخُلقِية التي تحقرها، وتنتقص منها أنها (كذا وكذا) ، وهما كلمتان مبهمتان[٢] ، تكنى من خلالهما عن مقولتها المرفوضة وقيل أنها تعني بهما ((كونها قصيرة))[٣] .

وسرعان ما تأتي الإجابة من الرسول ﷺ : مشتملة على أقوى طرق الردع والزجر ، ومحتشدة بالدلالات التي تفصح في لهفة حادة عن الرفض التام لهذا السلوك ، فظهر التأكيد بأسلوب القسم ثم (قد) الداخلة على الفعل الماضي لتعمق من التأكيد وتمعن في تقريره ، ثم الفعل الماضي بما يعكسه من تحقق الفعل وتأكيد حدوثه ، والتنصيص على السيدة (عائشة) . رضى الله عنها . ، وإحضارها في صلب كلامه ﷺ من خلال ضمير الخطاب المتصل بالفعل ، بما يدل عليه من شدة في المجابهة ، وتحديد في المواجهة.

وتنكير "كلمة" يفيد تفظيع أثرها القبيح ، وتهويل مدلولها الرديء ، تلك القباحة والرداءة التي بلغت في التردي والانحطاط مبلغًا لم تنهض صورة واقعية لتمثيله ، والقيام بحق معناه ، وهنا تبرز الصورة الافتراضية القائمة على لو الامتناعية . والتي تستخدم في المواطن التي تعظم فيها الأمور وتشتد . لتصدح بدورها الفاعل في النهوض بهذا المعنى ، وتمثيله التمثيل الأوفى ، لذا جاءت الصورة الافتراضية لتصف الكلمة التي قيلت في حق السيدة صفية رضى الله عنها بأنها (لو مزجت بماء البحر لمزجته) ، أي أنّ هذه الكلمة (على فرض تجسيدها وتقدير كونها مائعًا لو خلطت بماء البحر لغلبته وغَيَّرتُه)[٤] أي لفاق تأثيرها تأثيره ، ولصبغته بصبغتها البالغة النهاية في الرداءة والقذارة .

واختيار "البحر" هنا بما فيه من معاني ((السعة والانبساط والعمق والملوحة))[٥] ، يكشف عن

---

[١] مرقاة المفاتيح ، شرح مشكاة المصابيح ، ج٩ ، ص ٨٤.

[٢] لسان العرب "كذا" .

[٣] عون المعبود على شرح سنن أبي داود ، تأليف العلامة أبي عبد الرحمن شرف الحق العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي ، مراجعة وتدقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المجلد الأول ، ص ٢٢٤٢ ، دار ابن حزم ، ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م .

[٤] مرقاة المفاتيح ، شرح مشكاة المصابيح ، ج٩ ، ص ٨٤ ، بتصرف .

[٥] دال البحر في شعر محمود درويش ، مها داود محمود أحمد ، ص ٩٩ ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠١١م .

القذارة المركزة الطاغية الأثر التي تشتمل عليها هذه الكلمة ، إذ إنها قادرة على تغيير مياه البحر – على اتساعها الشاسع ، وعمقها النافذ ، وملوحتها العاتية – وتحويلها إلى صورة أخرى أشد مرارة ، وأحد ملوحة .

وإذا عرفنا أن الملح الكائن في مياه البحر من أقوى العناصر التي تستخدم في التطهير، وحفظ الأشياء من التغير ، تبين لنا أن هذه الكلمة . التي غلبت هذا العنصر الملحي على غزارته وكثرته . قد بلغت الغاية القصوى من البشاعة والشناعة .

وتأتي المشاكلة بين (مزجت) بمعنى (خُلِطَت) ، وبين (لمزجته) بمعنى (لغلبته وغيرته) ، لتضاعف من تمكن المعنى المراد ، وترسيخه في الذهن، ف ((الناظر يتوهم أن المعنى الثاني هو عين الأول فإذا أدام النظر ، وحقق الفكر علم أنه غيره ، فيكون ذلك سببًا لاستقراره في الذهن ، ورسوخه في الفهم فيكون أدعى للثبوت وعدم التفلت))[1] ، ومن ثم فالمتلقي بعد أن يتجاوز الدلالة اللفظية للكلمة الثانية (مزجته) . التي صورت له تغلغل بشاعة هذه الكلمة داخل كل ذرة من ذرات قطرات البحر ، وتمام مخالطتها لها . إلى الدلالة المعنوية المرادة وهي انحدار مياه البحر أمام فاعلية هذه الكلمة ، وتمام تبدلها وتحولها ، يتبين له في وضوح ورسوخ أثرها البشع ، ومفعولها الضاري الفتاك .

واللام الداخلة على جواب لو : (مزجته) تؤكد حصول التغيير لماء البحر ، لو أمكن لهذه الكلمة أن تمتزج به وتختلط ، وهو تأكيد يعمل على تقرير مضمون الكلام في ذهن المتلقي ، الأمر الذي يعكس له في وضوح فداحة تأثيرها ، وبشاعة إيذائها .

وهي صورة تعكس الاستنكار التام من الرسول ﷺ لهذه الكلمة ، وشدة تحذيرها من أثرها وترهيبه من مردودها ، كما أن هذه الصورة تكشف حرص الرسول ﷺ على التنبيه على عدم الاستهانة بأمر الغيبة حتى ولو كانت كلمة واحدة .

ولنا أن نتأمل . في ضوء هذا الأثر الفتاك للكلمة الواحدة . كيف يكون مقدار الإيذاء والضرر، والبشاعة والشناعة إذا كانت الغيبة بأكثر من كلمة؟

هذا وقد جاءت هذه الصورة الافتراضية بصياغة أخرى هي : ((لو مزج البحر بها لمزجته))[2] ،

---

[1] جنى البديع ، دراسة تحليلية لمسائل البديع ، د/ سحر المعنا ، ص ٦١ ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٣١هـ . ٢٠٢٠م .

[2] ينظر مرقاة المفاتيح كتاب الآدب ، باب حفظ للسان والغيبة والشتم ؛ رقم (٤٨٥٣)ج ٩ ، ص ٨٤ ، وينظر شرح الطيبي ، كتاب الآداب ، باب حفظ اللسان والغيبة والسب ؛ رقم (٤٨٥٣) ج ١٠، ص٣١٢٨ .

بنسبة الكثير (ماء البحر) إلى القليل (الكلمة) ، وذلك على النقيض من الرواية التي معنا التي نسب فيها القليل (الكلمة) إلى الكثير (ماء البحر) ، والرواية الأخرى تبالغ كذلك في الدلالة على شدة فداحة تأثير هذه الكلمة ، إذ تحمل ((إشارة لطيفة إلى أن هذه الكلمة منكِ ولو كانت صغيرة وقليلة عندك ، فهي عند الله كبيرة وكثيرة بحيث لو مزج بها البحر بأجناسها ، وأصنافها ، وأنواعها، ووسعها من طولها وعرضها، وعمقها لغلبته ، وهذا من البلاغة غاية مبلغها ، وفي البليغ من الزجر، نهاية حدها ومنتهاها))[١] .

على أن (ابن رسلان) قد فسَّر هذه الصورة الافتراضية بقوله : ((يحتمل أن يراد أن ريق فمك حين قلت هذه الكلمة المنتنة لو مزج هذا الريق اليسير النتن من الكلمة بما البحر العظيم المتين المحيط بالدنيا وخالطه (لمزجته) ، لفاق ريحها على ريحه في النتن ، وناهيك بماء البحر وطعمه ، وهذا كله مبالغة عظيمة وزجر شديد وتحذير أكيد في ترك الغيبة والاستماع إليها))[٢].

ويأتي المظهر الثاني للغيبة من السيدة (عائشة) رضى الله عنها من خلال قوله : (وحكيت له إنسانًا) أي ((فعلت مثل فعله ، أو قلت مثل قوله ، وأكثر ما يستعمل في قبيح المحاكاة ، ويقال حكيت صفته إذا أتيت بمثلها))[٣] .

إذن هي محاكاة فعلية أو قولية على وجه التحقير والإنقاص والذم ، وما يلاحظه القارئ في هذا المظهر هو إبهام من وقع عليه الغيبة على النقيض من المظهر الأول التي ظهرت فيه السيدة (صفية) رضى الله عنها ، ولعل سبب الإبهام هنا هو عدم الحاجة إلى ذكره في ضوء الهدف الأسمى المتمثل في تسليط الضوء على هذا المظهر القائم على المحاكاة الفعلية أو القولية ؛ لينصب المعنى عليه ، ومن ثم تتطلع النفس لمعرفة الرد النبوي ، فتتحقق العبرة والعظة .

وقد جاء هذا الرد النبوي كاشفًا عن الذم الكامل ، والتنفير التام من هذه المحاكاة بقوله : ((ما أحب أني حكيت إنسانًا وإن لي كذا وكذا)) أي ((ما يسرني أن أحاكيه بأن أفعل مثل فعله أو أقول مثل قوله على وجه التنقيص ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا أي شيئًا كثيرًا على ذلك))[٤] .

وعندما نتأمل في التعبير النبوي الذي صرح من خلاله عن استهجانه للمحاكاة نجد أنه قد احتشد بأقوى دلالات الرفض والإنكار، بما يبعث في النفس الرهبة من فعلها ، والحذر من ارتكابها.

---

[١] مرقاة المفاتيح ، شرح مشكاة المصابيح ، ج٩ ، ص ٨٥ .

[٢] شرح سنن أبي داود ، ابن رسلان ، ج ١٨ ، ص ٦٠٣ ، تحقيق عبد التواب بدوي ، محمود عبد التواب جمعة ، دار الفلاح للبحث العلمي ، وتحقيق التراث ، بدون تاريخ .

[٣] السابق الصفحة نفسها .

[٤] عون المعبود على شرح سنن أبي داود ، ص ٢٢٤٢ .

فيطالعنا في الصدارة أسلوب النفي (ما أحب) والذي آثره ﷺ على الإثبات (أكره) ، لأن النفي أقوى في الدلالة علة شدة الكراهية ، إذ ينفي كل درجات الحب ، بحيث لا يبقى منه شيء ، وهذا يدل على غاية الازدراء ، وشدة البغض .

ثم يضاعف الرسول ﷺ من شدة نفوره من هذا الفعل المحظور فيوظف "أن" المؤكِدة ، ثم يستحضر ذاته مرتين في إطار مكاني ضيق ليعمق من نفي حبه للمحاكاة ، فحضر ﷺ من خلال ضمير المتكلم المتصل بـ (أن) ، ومن خلال تاء الفاعل في الفعل (حكيت) بما يترتب على ذلك من تأكيد نفي إسناد المحاكاة للرسول ﷺ دلالة على منتهى التنزه والتبرء منها ، وبلغ هذا التأكيد الغاية القصوى بواسطة التعبير بالفعل الماضي (حكيت) بما يدل عليه من انتفاء حدوث المحاكاة من الرسول ﷺ فلا كان منه حب للمحاكاة ، ولن يكون منه لها حب كذلك ، وبواسطة التنكير في المفعول (إنسانًا) ليتآزر هذا التنكير مع دلالة النفي السابقة ، ومع دلالة الفعل الماضي ، في التدليل على عموم انتفاء حب الرسول ﷺ لمحاكاة أي إنسان كائنًا من كان ، وفي أي وقت من الأوقات ، لأن عدم حبه لها سجية ملازمة له ، وطبيعة متأصلة فيه ، إذ تتنافى مع نفسه السامية، وروحه الطاهرة .

وتأتي جملة : (وإن لي كذا وكذا) في نهاية حديثه ﷺ لتزيد نفي حبه للمحاكاة تأكيدًا فوق تأكيد، إذ هي كناية عن الخير الكثير البالغ النهاية في الكثرة ، وهي كناية تطلق العنان للخيال ليتأمل عِظَمَ هذا الخير ، إذ لا يَحدُه حد ، ولا يُحاط به وصف ، ومع ذلك لا يعدل به النبي ﷺ عدم حبه للمحاكاة، ولا يقايضه بها .

والواو في بداية الجملة هنا جعلها الإمام الطيبي واو الحال والجملة بعدها حالية إذ يقول : ((قوله :(وأن لي كذا وكذا) جملة حالية واردة على التتميم والمبالغة ، أي ما أحب أن أحاكي أحدًا ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا))[1] ، بينما جعلها الإمام القاري واوَ عطفٍ ، والجملة معطوفة على ما قبلها قائلا : (والظاهر أنه معطوف على ما سبق ، والمعنى إني ما أحب الجمع بين المحاكاة وحصول كذا وكذا من الدنيا وما فيها بسبب المحاكاة ، فإنها أمر مذموم)[2] .

وكلا الرأيين له وجاهته ، لأنهما قد أصابا محز المعنى ، ووقفا على معقد السر من هذا التعبير ، وهو المبالغة في التنفير من المحاكاة ، وعدم حب الرسول ﷺ لها ، إلا أن الوصول إلى هذا المعنى . من خلال الجملة الأخيرة . عند كليهما قد جاء من طريقين مختلفين :

أما الإمام (الطيبي) فقد توصل إلى المعنى السابق بجعل الجملة حالية محققًا بذلك مزِيتين أدتا

---

[1] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ،ج ١٠ ، ص ٣١٣٠ .

[2] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج ٩ ، ص٨٨ ، بتصرف يسير .

إلى المبالغة السالفة الذكر :

المَزِيَّة الأولى : أنه جعل الجملة الأولى (ما أحب أني حكيت إنسان) قائمة بنفسها رأسًا لتنص على عدم حب الرسول ﷺ للمحاكاة ، ومن ثم التنفير منها .

المَزِيَّة الأخرى : أنه جعل الجملة الثانية الحالية (وإن لي كذا وكذا) ترقيًا للذم المفهوم من الجملة الأولى ، وتصعيدًا للتنفير من المحاكاة ، وإلحاقًا على ترسيخ معنى استهجانها ، فالرسول ﷺ لا يحب المحاكاة أصلا، حتى ولو تم . فرضًا . الإغراء بالخير الوافر ، والمقايضة بالعطاء الغزير فإن عدم حبه لها لا يتغير ، وكرهه لا يتبدل ، بل هو راسخ رسوخ الجبال .

وأما الإمام (القاري) فقد توصل إلى المبالغة أيضًا بجعل الثانية معطوفة على الأولى محققًا بذلك الجمع والاندماج بينهما ، وهذا يبالغ في الدلالة على شدة كرهه ﷺ للمحاكاة ، لأنه إذا كان ينفر منها مع هذا الخير العميم الذي لا نهاية لآخره ، فنفوره منها من دون وجود هذا الحيز أمكن وأشد .

هذا وتقديم (لي) الجار والمجرور المتعلق بخبر "إن" على اسمها ، يؤذن بانحصار هذا الحيز كله فيه ﷺ ، وهو ما يضاعف من الدلالة على عظيم الإغراء ، وسهولة العطاء .

والتأكيد المكثف بـ "أن" و "إن" في كلام الرسول ، جعل القوة تسري في أوصال هذا البيان النبوي ، مما جعله ينضح بمعاني الحسم في الرفض للمحاكاة، والقطع في التنفير منها ، بالإضافة إلى أنه أمد هذا البيان بتنغيم موسيقي متناسق سهَّل من إدراكه لدى المتلقي ، ومن ثم تعمق مضمونه داخله ، واستوعب دلالاته في قوة وتمكن .

والمتأمل في هذا الرد من الرسول ﷺ مقارنة برده السابق على السيدة (عائشة) رضي الله عنها، يلاحظ أنه لم يجابهها كما جابهها ، ولم يجر الكلام عليها كما أجراه قبلاً ، وإنما أجراه على نفسهﷺ وأعلن عن موقفه هو من هذه المحاكاة، لأنه القدوة التي ينبغي أن نتأسى بها ، وعلى نهجها نسير، ولما فيه من التحفيز والتشجيع على التخلق بخلقه ﷺ ، الذي ينفر من هذه المحاكاة ، ويستهجن الإقدام عليها ، وكأن هذه الإجابة من الرسول ﷺ دعوة لأن ينظر كل مسلم في موقفه ﷺ من هذه المحاكاة فيحذر منها ، ومن ثم يحجم عنها إن كان مقترفًا ، ويزداد التزامًا إن كان مجانبًا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه نوع في أسلوبه ، ولون في ترهيبه ، مما أمَدّ الحديث في مجمله بخلابة وطرافة جعلته أشد أسرًا ، مما عاد على المعنى فكان أشد تمكنًا ورسوخًا في ذهن المتلقي.

وبهذا ينتهي هذا الحديث الذي اعتمد على طريق الحوار المطلق في الترهيب من الغيبة ، وتشكل هذا الطريق من مجموعة من الأساليب أسهمت في نقل المعنى على أتم وجه وأكمله ، وكان من أهم الأساليب التأكيد ، والصورة الافتراضية ، والنفي ، والتقديم والتأخير ، والكناية .

المطلب الثاني :

طريق الحوار المقترن بالإشارة وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .

حديث : (حَدِّثْنِي بأمر اعتصم به...)

عن سفيان بن عبد الله الثَّقَفِيّ قال : قلتُ : يا رسُولَ الله ، حَدِّثْنِي بأمرٍ اعْتَصِمُ به ، قال: "قل: رَبِّيَ اللهُ ، ثم استَقِم" ، قال : قلتُ يا رسُولَ اللهِ ، ما أخْوَفُ ما تَخَافُ عَلَيَّ ؟ فأخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ قال : هَذا" . [1]

يعتمد هذا الحديث طريق الحوار ليكشف عن معنيين جليلين يعدان من ركائز الإسلام ، وأساس بنائه ، المعنى الأول : إعلان الإيمان بالله ثم العمل بمقتضى هذا الإيمان من التزام واستقامة ، والمعنى الآخر : بيان خطورة اللسان وإبراز فداحة أثره .

وقد تمت الإبانة عن هذين المعنيين من خلال إجابتين أجاب بهما الرسول ﷺ على سؤالين من أحد صحابته الكرام ، وقد زادت الإجابة الثانية . التي كشفت عن خطورة اللسان . بتوظيف الإشارة التي عمقت من توضيح المعنى ، وتقرير دلالته .

والناظر في هذا الحديث في مجمله يجد أن صياغته قد اتسمت بقوة الإبانة عن المعنى ، والتعبير عنه في دقة وبراعة ، كما يتكشف له . من خلاله . علو همة الصحابي ، واهتمامه بما يصلح دنياه وآخرته ، ويتبين له . كذلك . اعتماد الرسول ﷺ . في إجابته . على العبارة الموجزة المركزة التي تطبع المعنى داخل عقل المتلقي ، وعلى الإشارة بما لها من أثر بالغ في تثبيت المعنى ، بكل ثقله وظلاله لدى المتلقي .

فإذا تأملنا في السؤال الأول . للصحابي الجليل . (يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به) ، نجد أنه قد تصدر بأداة النداء (يا) التي تفيد التعظيم والتوقير للرسول ﷺ وتعكس شدة حبه وعميق قربه منه ، ثم يؤثر الصحابي الوصف المحبب إلى النبي الكريم (رسول الله) ليمعن في تأكيد التوقير والتعظيم السابقين ، وكان هذا النداء هو دأب الصحابة . رضوان الله عليهم . في ندائهم لرسول الله ﷺ وذلك ((تأدبًا معه ، وإقرارًا برسالته ، ورعايةً لمقام النبوة والرسالة ، واستجابة منهم لخالقهم في

---

[1] سنن الترمذي ، وهو الجامع الكبير ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورةَ الترمذي ، تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات ، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في حفظ اللسان ؛ رقم (٢٥٧٦) ، المجلد الثالث ، ص ٤٥١ ، دار التأصيل ، ط١ ، ١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م .

قوله تعالى :﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ ﴾(سورة النور آية ٦٣)))[١] ، كما أن هذا النداء يدلل على إقباله على الرسول ﷺ ، وهو مطمئن النفس ، مترسخ اليقين ، بإيجاد الإجابة الشافية الوافية ، ثم يأتي فعل الأمر (حدثني) منبئًا عن منتهى رجائه ، وغاية أمله في الظفر بالإجابة ، والفعل المضارع (اعتصم) في نهاية السؤال يعكس شدة حاجة الصحابي إلى هذا الأمر ليلتجئ إليه ، ويتمسك به ، ويحظى من خلاله بالسلامة والنجاة .

وسرعان ما تأتي الإجابة من الرسول ﷺ (قل : ربي الله ثم استقم) لتحدد هذا الأمر في بيان ناصع ، وتعبير موجز ، وبناء قوي ارتكز على فعلي أمر يقرعان سمع المتلقي بقوة دلالتيهما ليؤكدا له في وضوح أن عليه أن يتلفظ بقول : (ربي الله) ثم يعمل بمقتضى هذا القول من الاستقامة في القول والفعل ، أي ((ائت أولا بالأساس للأعمال الصالحة وهو الإيمان ثم بعد تحققه استقم بامتثال الأوامر واجتناب المناهي ، والحديث مقتبس من مشكاة قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾(سورة فصلت آية ٣٠)))[٢] .

وإذا تأملنا في السؤال الثاني (يا رسول الله ، ما أخوف ما تخاف عَلَيَّ؟) نجد أنه قد جاء على نفس وتيرة السؤال الأول في قوة التعبير، وشدة الرغبة في إدراك الجواب ، والاشتمال على ما يدل على علو الهمة ، إذ مَهَّدَ له . أيضًا بالنداء (يا رسول الله) ، ليوغل في التدليل على علو قدر الرسول ﷺ ، وعلو منزلته ، وكذلك الإشارة إلى شدة حبه له ، وقربه منه ، واستلذاذ بإعادة ذكره ، ثم يُتبع هذا النداء بالاستفهام : (ما أخوف) ، وهذا الاستفهام يدل على ((طلب الفهم ، والعلم بما سأل عنه ، فهو يجهل الأمر الذي يسأل عنه ، ولذا فهو يسأل عنه مستفهمًا))[٣] ، ويَنْصَّبُ هذا الاستفهام على اسم التفضيل (أخوف) ليعكس . بما تدل طبيعته الفنية عليه من الارتقاء في الوصف ، والوصول به إلى الدرجة العليا الفاضلة لغيرها . حرص الصحابي الجليل على العلم بأعلى الأشياء التي يخاف منها رسول الله ﷺ عليه ، ليكون الصحابي أمعن في توقيه ، واحترازه منه .

وإلحاح السائل على دلالة الخوف من خلال تكرارها ثانية بواسطة (جناس الاشتقاق) بين

---

[١] الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية ، د/ عبد العزيز بن صالح العمار ، ص ١٧٩ .

[٢] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، تأليف العلامة محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي ، ج٨ ، ص ٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون .

[٣] الاستفهام في الصحيحين ، خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية ، د/ عبد العزيز بن صالح العمار، ص ٤٤٧ .

"أخوف وتخاف" يكشف عن رغبته الجارفة ، وشوقه المتلهف للحصول على السلامة ، وإدراك الأمان ، كما أن التعويل على خوف الرسول ﷺ عليه يكشف عن يقينه الراسخ ، وثقته التامة بحرص الرسول ﷺ عليه ، وحبه له ، ورحمته به ، لذا جاء الجار والمجرور (عليَّ) في النهاية ليعزز هذه الدلالة ويؤكدها .

كما أن دلالة الإطلاق والعموم والشمول المفادة من حذف عائد صلة (ما) إذ التقدير : ((أي شيء أخوف أشياء تخاف منها عليَّ))[١] ، تتآزر مع الدلالة المفادة من اسم التفضيل ، وتتحد معها، في تعيين مطلب السائل ، المنصب في إعلامه بالشيء الأعلى والأشد من بين جميع الأشياء في الخوف منه عليه ، وهذه الدلالة . لاشك . تنعكس على إجابة الرسول ﷺ اللاحقة ، لتجعل هذا الشيء الذي سيذكره الرسول ﷺ في نهاية درجات الخطورة ، والضرر ، وهذا بالطبع ما يصاعد في الترهيب والتنفير منه .

وتأتي الإجابة من الرسول ﷺ : (فأخذ بلسان نفسه : ثم قال : هذا) ، لتعين هذا الشيء في بيانٍ بَلَغَ الغاية في التأثير والإيصال ، إذ اعتمدت في بنائها على طريقين من طرق الإيصال هما لغة الجسد (الإشارة) ، واللغة المنطوقة ، فالطريق الأول (الإشارة) جاء من خلال الجملة الأولى : (فأخذ بلسان نفسه) إذ حَرَّك الرسول ﷺ يده الشريفة إلى الأعلى تجاه الفم ليمسك بلسانه الشريف ، ويشير إليه في وضوح آسر يأخذ بألباب الناظر ، ويطبع هذه الصورة الحركية الواضحة الدلالة في ذهنه ، فـ ((لغة الجسد ذات أهمية كبيرة في عملية التواصل ، إذ بها تكتمل العملية التواصلية لما تؤديه من دور فاعل في الإفهام والإيضاح والإفصاح والمصداقية والتأثير))[٢] .

على أن توظيف هذه الإشارة في هذا السياق يدل على شدة اهتمام الرسول ﷺ بالمعنى الملقى ، وتفانيه في استخدام كل الوسائل التي تعزز وصوله ، وتدعم ترسخه في ذهن المتلقي ، وما كل ذلك إلا لسبب حرصه ﷺ على التأثير والإقناع ، فلم يكن مقصده مجرد إيصال المعنى ، بل تأكيد إيصاله ، وتقرير تأثيره .

والطريق الآخر وهو اللغة المنطوقة ظهر من خلال اسم الإشارة (هذا) ليمعن . بما يدل عليه من التحديد والتعيين . في تعزيز دلالة الإشارة الحركية السابقة ، وتقرير مضمونها في ذهن المتلقي.

---

[١] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، ضبط ومراجعة وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ، ج ٧ ، ص٩١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون .

[٢] لغة الجسد في القرآن الكريم ، أسامة جميل ربابعة ، ص ٣٢ ، رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠١٠م .

ومن ثم فقد استطاع الرسول ﷺ من خلال هاتين الطريقتين المتتابعتين المتنوعتين أن يرسخ صورة اللسان كعضو بالغ الخطورة ، فادح الضرر لدى المتلقي (فالمعاني عندما تدرك بالوسائل البصرية الحركية بالإضافة إلى التلفظ بها تكون لدى المتلقي في غاية العمق والتأثير)[١] .

على أن اختيار الرسول ﷺ للسان دون غيره ، وجعله يتربع . وحده . على عرش ما يخاف منه ، لِممَّا يبلغ بالترهيب منه الغاية التي لا تدرك ، والمنزلة التي لا تداني ، وما ذلك إلا لأنه ((سهل الحراك ، وفي حراكه أنواع الهلاك إلا إذا قيد بقيود الشريعة ، وحبس عليها))[٢] ، كما تكثر آفاته، وتتعدد رذائله ، وعلى رأسها الغيبة والنميمة إذ يستهان بأمرهما ، وتنجرف النفس إليهما ، وتأنس بإتيانهما ، مما يترتب عليهما في النهاية الهلاك والخسران .

وينتهي هذا الحديث الذي رَغَّب فيه الرسول ﷺ من الإيمان بالله والاستقامة على هديه ، ورَهَّب فيه من خطورة اللسان ، وعظم أثره .

وقد تم عرض المعنيين السابقين بالاعتماد على طريق الحوار الذي ألهب شوق السامع ، وعمق المعنى داخله ، على أن المعنى الثاني (الترهيب من خطورة اللسان) قد تم عرضه من خلال الحوار المقترن بالإشارة .

---

[١] فن التحدث والإقناع ، تأليف : وليم . ج . ماكولاف ، ترجمة وفيق مازن ، ص ١٣٤، دار المعارف ، ط ٤ ، بتصرف .

[٢] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ج ٨ ، ص ٨ .

المطلب الثالث :

طريق الحوار المقترن باستثمار الفرص الملائمة وأساليبه في الترهيب من الغيبة في البيان النبوي .

حديث : (جاء الأسلمي ...) .

حدَّثنا الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ ، ثنا عبد الرازق ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، أن عبد الرحمن بن الصامت بن عم أبي هريرة أخبره ، أنه سمع أبا هريرة يقول : "جَاءَ الأَسْلَمِيُّ إلى نبيِّ الله ﷺ فَشَهِدَ على نَفْسِهِ أنَه أَصَابَ امْرَأَةً حَرَامًا أَرْبَعَ مَرّاتٍ ، كُلُّ ذلك يُعْرِضُ عَنْهُ النَّبيُّ ﷺ ، فَأَقْبَلَ في الخَامِسَةِ فقال : "أَنِكْتَهَا؟" قال : نعم قال : حَتَّى غَابَ ذَلِكَ مِنْكَ في ذَلِكَ مِنْهَا ؟ قال : نعم ، قال : "كما يَغِيبُ المِرْوَدُ فِي الْمِكْحَلَةِ والرِّشَاءُ في البِئْرِ؟" قال : نعم ، قال "هَلْ تَدْرِي ما الزِّنَا؟" قال: نعم أَتَيْتُ مِنْها حَرَامًا ما يَأْتِي الرَّجُل من امْرَأَتِهِ حَلالا. قال : "فَمَا تُرِيدُ بِهَذَا القَوْلِ؟ " قال : أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ ، فَسَمِعَ نَبِيُّ الله ﷺ رَجُلَيْنِ من أَصْحَابِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : انْظُرْ إِلَى هَذَا الذي سَتَرَ الله عَلَيْهِ فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الكَلْبِ ، فَسَكَتَ عَنْهُمَا ، ثُمَ سَارَ سَاعَةً حَتَّى مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ شَائِلٍ بِرجلِه ، فقال : "أين فُلانٌ وفُلانٌ" ، نحنُ ذَانِ يا رسول الله ، فقال : "انْزِلا فَكُلا من جِيْفَة هذا الحِمَار " فقالا : يا نَبِيُّ الله مَنْ يَأْكُل مَن هَذَا ؟ قال : "فَمَا نِلْتُمَا مِن عِرْضِ أَخِيكُمَا آنِفًا أَشدُّ من أَكلٍ منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهارِ الجنةِ يَنْقَمِس فيها"))[1] .

يعد النصف الثاني من هذا الحديث هو موضع الشاهد المنوط بدراستنا ، فبعد أن أقر (الأسلمي) بارتكابه الزنا، واستوضح النبي ﷺ هذا الإقرار منه بكل الوسائل الممكنة وأقيم عليه حد الزنا (الرجم) ، سمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يغتاباه ، فنهرهما النبي ﷺ نهرًا شديدًا ، متكئًا في ذلك على طريق الحوار المقترن باغتنام الفرص المتاحة ، فبعد أن سمع النبي مقالتهم سار ساعة ، ثم رأى جيفة حمار فنادى عليهما ثم أمرهما بأن ينزلا ويأكلا منها ، وعندما تعجبوا من كيفية قيامهم بذلك الفعل المزري ، واجههم النبي ﷺ بأن اغتيابهم لـ (الأسلمي) وذكرهم له بسوء أشد دناءةً وقبحًا من الأكل من هذه الجيفة ، ثم أمعن في بيان ضلال قولهم ، وفساد وصفهم لـ (الأسلمي) فختم حواره معهم بالتأكيد على فوزه بالجنة وتنعمه فيها بأنهارها وخيراتها .

وعندما نقترب من الأساليب التعبيرية لهذا الحوار الدائر بين الرسول ﷺ، وهذين الرجلين ، . والذي اقترن من جانب الرسول ﷺ بتوظيف الفرص الملائمة والمتوفرة أمامه والكائنة في جيفة

---

[1] سنن أبي داود ، كتاب : الحدود ، باب : رجم ماعز بن مالك ؛ رقم (٤٤٢٨)، ج ٣ ، ص١٥١ .

الحمار . نجد أن هذه الأساليب قد أصابت المعنى ، وعبرت عنه بكامل ظلاله وأبعاده على أفضل ما يكون التعبير ، وأول ما يطالعنا منها قول أحد الصحابيين للآخر : (انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعْه نفسُه حتى رُجم رَجم الكلب) .

فقد احتشدت الصياغة هنا بالدلالات التي تعكس التحقير والإهانة للمُرجَم، وتصور السب اللاذع له ، والقدح الفاضح فيه على أتم وجه وأكمله، إذ ابتدأت بالفعل (انظر) المفيد للالتماس المشوب بكل معاني التقبيح والاستحقار ، ثم يأتي التحديد والتشهير المفادان من اسم الإشارة والاسم الموصول (هذا الذي) ليرسخا من نسبة الإساءة ، وحصرها فيه مع ما في ذلك من إشهار وإعلان ، ثم تجيء المفارقة التي قلب بها القائل الأمور ، وسار بها في اتجاه النيل منه والذم فيه ، لتمعن في تقبيح توبته ، وتشويه تطهيره لنفسه ، فبينما . كما يرى القائل . سَتَرَ (اللهُ) تعالى عليه فعلتَه ، إذ ترفض نفسه هذا الستر ، وتنازعه ، ولا تتركه إلا بأن يعترف ، ويقر بفعلته لتكون نهايته الرجم كالكلب .

وهذه الصورة التشبيهية التي جاءت ضمن المفارقة السابقة عكست ترسخ المعنى في نفس القائل ، إذ استعانت بالتشبيه المصدري بما له من أثرٍ بالغٍ في مقامات التوكيد والتحقيق للمعاني ، كما أنها قد جعلت المتوفَى في أحط درجات الضعة والهوان ، وأبانت عن حاله . لدى القائل . على أوضح ما تكون الإبانة ، إذ أكدت أن رجمه يشبه رجم الكلب في وجه شبه يجمع كل معاني التحقير والهوان ، والإذلال، كما أنها . في الوقت ذاته . تعمق من غبنه ، وهضمه حقه والتجني عليه ، إذ الأولى به الثناء بعد توبته وخوفه من عقاب (الله) تعالى في الآخرة ، وسعيه الحثيث نحو الحد الدنيوي بما فيه من تشهير وتعذيب ، ولذا كان لهذه المقولة الأثر البالغ في نفس الرسول ﷺ الذي واجهها بكل حزم وصرامة كما سيأتي .

ويتدخل (أبو هريرة) ﷺ لينقل لنا رد فعل الرسول ﷺ ، ويوضح تفاصيل ومستجدات هذا المشهد بقوله : (فسكت عنهما ، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حِمَارٍ شائلٍ بِرِجْلِهِ) ، يقوم هذا التدخل على ثلاث جمل ترصد عدة أحداث متنامية في تتابع سريع أخاذ ، واشتملت كل جملة منها على الأساليب اللغوية التي نقلت المعنى على أتم ما يكون النقل والتعبير ، فأتت الجملة الأولى (فسكت عنهما) لترصد عدم مبادرة الرسول ﷺ بالرد على هذا القول ، وتأنيه في مواجهة القائل والمستمع ، والفاء الفصيحة في قوله : (فسكت) تطوي وراءها حدثًا ، وتختزل فعلًا مصدره الرسول ﷺ إذ التقدير: (فسمعهما الرسول ﷺ فسكت عنهما) ، وهذا الحذف ينبئ عن بلاغة الراوي الذي اقتصر في كلامه على ما يصيب المعنى ، ونقاه مما يفهمه القارئ ، ويدركه ، وهو بهذا قد أحدث المشاركة الفاعلة من المتلقي الذي يعايش النص بكيانه ووجدانه ، مما يعود على المعنى في

النهاية فيجعله أشد تمكنًا لديه . وجاءت الجملة الثانية (ثم سار ساعة) متصدرة بـ (ثم) لتقرر وجود مدة زمنية بين سكوته ﷺ عنهما ، وبين سيره، والفعل (سار) هنا يؤكد ((على أن قصة (ماعز) وقعت في السفر لا في الإقامة))[١] .

وظرف الزمان (ساعة) فضلا عن أنه يعطي دلالة زمنية تحدد مقدار سير النبي ﷺ ، فإنه من ناحية أخرى يؤكد أن مردود هذا القول الكريه لا يزال عالقًا في سمعه ﷺ خلال هذه المدة ، وأن أثره السيء كان نُصْبَ عينيه ، وبؤرة اهتمامه ، ولم لا وهو النبي ﷺ الرحمة المهداة الذي يُعلم ويربي ، ولا يترك ذنبًا يُرتكب ولا إثمًا يُقترف دون أن يُهذِب صاحبه ، ويُحذره من عاقبته .

وتُقبل الجملة الأخيرة : (حتى مر بجيفة حمارٍ شائلٍ بِرجله) متصدرة بـ (حتى) لتؤذن بالوصول إلى الغاية التي تحوي مشهدًا سوف تُدار حوله الأحداث اللاحقة ، ويتسم هذا المشهد الذي مرَّ به النبي ﷺ ببلوغه أقصى درجات القذارة ، والعفن ، فهو عبارة (عن جيفةِ حِمَارٍ رافعٍ بِرجلهِ من شدة الانتفاخ) [٢] .

ويتوقف الرسول ﷺ أمام هذا المنظر المزري . الذي يزكم الأنوف ، ويجبر النفوس على الفرار برائحته النتنة . ليستدعي القائمين بالغيبة قائلا : (أين فلان وفلان) والاستفهام هنا يراد به تحديد مكانهما إن كانا قريبين ، وأن يُقبلا عليه إن كانا بعيدين ، حتى يوجه الرسول ﷺ حديثه المزمع إليهما، (وقد دخل السامع للغيبة مع القائل في الاستفهام لموافقته مقولة القائل ورضاه بها)[٣] ، وسرعان ما تمت الإجابة منهما بقولهما : (نحن ذان يا رسول الله) ، ولك أن تستحضر هيأتهما ، وتتأمل مشاعرهما حين يفردهما الرسول ﷺ بالنداء في هذا الموقف ، وأمام هذا المنظر البشع ، إذ لابد وأن أحاسيس الشعور بالذنب ، والقيام بالجرم قد تسللت إلى نفسيهما حتى باتا في قمة الوجوم والانقباض .

وما إن أفصحا عن نفسيهما ، إلا وقد واجههم الرسول ﷺ قائلا : (انْزِلا فَكُلا من جِيفة هذا الحِمار) : يدل الفعل (انزلا) في البداية ((أنهما كانا راكبين ، ويحتمل أن يكون الحمار الشائل برجله في حفرة وهما غير راكبين))[٤] ، والأمر لهما بالنزول والأكل من جيفة الحمار ليس على

---

[١] شرح سنن أبي داود ، ج ١٧ ، ص ٣٩٤ .

[٢] بذل المجهود في حَل سنن أبي داود ، للإمام المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، اعتنى به وعلق عليه ، أ.د / تقي الدين الندوي ، ج ١٢ ، ص ٥٠٩ مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية ، الهند ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م ، بتصرف .

[٣] ينظر السابق الصفحة نفسها بتصرف .

[٤] السابق الصفحة نفسها .

حقيقته ؛ وإنما يراد به الإنكار والتوبيخ والزجر والتبكيت ، فالرسول ﷺ يستدرجهما إلى انتزاع الإقرار منهما بدناءة هذا الفعل ، وشدة قبحه ، وشناعة القيام به .

ولفظة (جيفة) التي انصب عليها فعل الأكل تمعن في التوبيخ لهم ، إذ إنهم في درجة من الانحطاط والحقارة والتدني تؤهلهم لأن يأكلوا من هذه الجيفة ، وهذا فيه ما فيه من شدة المجابهة ، وحدة المواجهة ، لاسيما وأن مجيء اسم الإشارة (هذا) قد ضاعف من تأكيد نسبة الجيفة للحمار ، وصاعد من تحديدها لهم ، حتى طبعت ببشاعتها وشناعتها في نفوسهم ، وصار مضمون الأمر "كلا" واضحًا جليًا لهم . ولاشك أن الأمر بالأكل من هذه الجيفة أمر يستنفر المشاعر ، ويستثير الأحاسيس ، ويدفع بالنفس دفعًا إلى الإفاقة واليقظة من هول المفاجئة الصادمة التي يتهاوى أمامها كل من في قلبه رباطة جأش ، وقوة تجلد ، إذ كيف يُقْدِم الإنسان على الأكل من هذه الجيفة ؟

ومن المؤكد أن هذا الأمر الذي زلزل نفسيهما ، قد رسخ لديهما اليقين بأنهما صنعا ذنبًا استحقا عليه هذا التعنيف المؤلم ، وهذا الترسيخ يعكس أثر طريقة استثمار الفرص الملائمة في الترهيب من الغيبة ، والتحذير من شأنها ، والتي وظفها الرسول ﷺ بكل دقة وإصابة ، لكي تؤثر على المتلقين، وتَبْلُغ بهم في الإقناع والتأثير أقصى الغايات الممكنة .

ولأن الأمر بالأكل من الجيفة قد نزل على رؤوسهم كالصاعقة ، فقد جاء الرد منهما مكتظًا بالأساليب التي تكشف . بوضوح . عن نفس منقبضة، وروح ذاهلة ، ووجوه شاحبة ، (يا نبيَّ اللهِ مَنْ يأكُل مِنْ هذا ؟) ، ولابد لك من أن تقرأ هذا الرد بما يستحقه من النبر والتنغيم لتقف على مقدار الخذلان والانكسار المسيطر عليهما .

والمتأمل في أساليب هذا الرد يجد أن النداء في البداية (يا نبي الله) فيه توقير وتعظيم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وفيه رِقَةٌ وضَعفٌ وانقباض منهم ، ويجد أن الاستفهام في (من يأكل من هذا؟) يفيد الاستبعاد والتعجب المشوبين بالنفور والاشمئزاز ، وأن وضع المظهر موضع المضمر في قولهم : (هذا) بدلا من (منها) ، يمعن في تصوير هيأتهم وهم ينظرون إلى الجيفة في ذهول وتعجب .

وبعد أن بلغ بهم الذهول والاشمئزاز ، والرفض والإنكار مبلغه يأتي الرد عليهم من الرسول ﷺ بقوله : (فما نلتما من عرض أخيكما آنفًا أشد من أكلٍ منه) ، فعن طريق التشبيه الذي طريقه أفعل التفضيل يجعل الرسول ﷺ بشاعة اغتيابهم لأخيهم ، وسبهم له ، تتفوق في الشبه على بشاعة أكلهم من جيفة حمار شائل برجله ، وتبلغ من الضراوة والبشاعة غايةً أعظم وأشد منها .

وهي صورة تشبيهية فاق فيها المشبه المشبه به في وجه الشبه لتنعكس بظلالها على صنيعهم السيئ ، وسلوكهم المزري ، لتبرزه في أحط درجات الدناءة والحقارة ، فإذا كانوا قد أقروا قبلا . من

خلال الاستفهام الماضي (من يأكل من هذا) . باستبعاد الأكل من جيفة الحمار لنتنها وقذارتها ، فإن الرسول ﷺ يؤكد لهم من خلال هذه الصورة أن غيبتهم ووقوعهم في عرض المُرجَم أشد منها في النتن والقذارة .

وهكذا يأتي المقال النبوي متسقًا مع المقام الذي يقال فيه . وهو الترهيب من الغيبة ، وبيان قبحها ، ورداءتها . ومنبثقًا من المنظر الحاضر ، والواقع المشاهد . المُجَمع على نتنه وقذارته . الذي استثمره الرسول ﷺ ، ووظفه ببراعة ليصل من خلاله إلى التأثير الأعظم ، والإقناع الأتم ، والرسول ﷺ في أدائه لمعانيه (يسلك جميع الطرق المشتركة بينه وبين المتلقي ، ويستثمر كل الفرص والموجودات المتاحة أمامه ، والتي تواضع المجتمع عليها لكي يصل خطابه وبيانه إلى أوسع وأبعد مدى ، ويؤثر في كل فرد من أفراد هذا المجتمع على اختلاف ثقافاتهم ، وتوجهاتهم وطبائعهم)[١] .

واستدعاء صورة الأكل من الجيفة عند التحذير من الغيبة ((كقوله تعالى: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾(سورة الحجرات آية ١٢) لكن لما كانت غيبة الميت المرجوم أقبح من غيبة الحي ، لأنهم أفضوا إلى ما قدموا ، وكان الميت قد صار جيفة بموته شبه غيبته بأكل جيفة حمار ميت ، ولما كانت غيبة أخيه الحي دون ذلك شبهها بأكل لحم أخيه الميت من غير ذكر الجيفة))[٢] .

والمتأمل في الدلالات اللغوية لهذه المواجهة النبوية يجد أنها قد اتسمت بالإصابة والدقة والتوافق مع المعنى في جدارة وبراعة ، إذ تصدرت بالفاء الاستئنافية التي تكون عند مقطع مهم من مقاطع المعاني لتعكس بذلك عظم الأمر ، وشدة خطورته ، ثم جاء المصدر المؤول من (ما) والفعل الماضي (فما نلتما) ليؤكد إلصاق الفعل بهما ، ويقرر حصوله منهما ، ثم تجيء الاستعارة المكنية في : (نلتما من عِرض) . والتي تبرز العِرض في صورة شيء محسوس ينال منه ، ويُتحصل على شيء منه بما ينقصه . لتنعكس على المقولة السابقة راصدةً فداحة التحقير الذي نال المتوفَى ، وضراوة الإنقاص الذي حل به ، كما أن هذه الاستعارة تبرز العِرض في صورة الحمى الذي يجب على المسلم أن يصونه ويحفظه لا أن ينال ويأخذ منه بما يقلله ، وتأتي لفظة (أخيكما) لتمعن في تبكيتهم وتنديمهم على تفريطهم في حق الأخوة التي ينبغي أن تصان و تحفظ ، ولفظة (آنفًا) تُحيل عقليهما مباشرةً إلى الماضي القريب ، وتستحضر المقولة التي قيلت في موقف الرجم،

---

[١] بلاغة الأداء في البيان النبوي ، د/ محمد علي فرغلي الشافعي ، ص ٣٧ ، مطبعة الشروق بالراهبين ، ط١، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م ، بتصرف .

[٢] شرح سنن أبي داود ، ابن رسلان ، ج ١٧ ، ص ٣٩٧ .

تشنيعًا عليهم ، وتبشيعًا لحالهم ، ثم تأتي جملة (أشد من أكل منه) مصدرة بأفعل التفضيل لتؤكد في صراحة ووضوح تفوق قذارة غيبتهم على قذارة الأكل من جيفة الحمار .

وَيُتْبِع الرسول ﷺ مواجهته السابقة لهما ، بمواجهة أخرى تضحد غيبتهما ، وتؤكد قبول توبته ، وحسن خاتمته ، فيقول : (والذي نفسي بيدي إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقمس[١] فيها) .

احتشد هذا الختام بالدلالات اللغوية التي تضاعف من الثناء على المُرَجم ، وتمعن في إنصافه من السب الذي ناله ، فنرى تكثيف التوكيد من خلال القسم ، وإن ، واللام ، ويطالعنا ظرف الزمان (الآن) ليؤكد تواجده في الجنة وقت الخطاب النبوي لهم ، وكذلك مجيء الأنهار بالجمع ، وأيضًا لفظة (ينقمس) التي تصور بدلالتها وبزمنها على فرط مرحه وسعادته وانطلاقه وتنعمه ، إذ ((جزاه الله تعالى على إرادته التطهير من ذنبه بالانغماس في أنهار الجنة اللاتي يتطهر بمثلهن في الدنيا من الحدث والخبث ، وليذهب عنه ببرودة انغماسه في الماء زوال ما حصل له من حرارة الضرب بالحجارة ، وخروج روحه))[٢] .

وهذه الدلالات اللغوية . التي استعان بها النبي ﷺ في حواره المواجه لهما . إن كانت قد أنصفته، ونصرته ، وكَنَتْ عن قبول توبته ، وحسن خاتمته ، وردت إليه اعتباره على خير وجه وأكمله ، فإنها من جانب آخر أمعنت في تعميق جراح المغتابين ، وزادت من تبكيتهما ، وضاعفت من التدليل على فساد سلوكهما ، وهذا فيه من الترهيب من الغيبة ما فيه .

وفي النهاية فإن الرسول ﷺ قد اعتمد على طريق الحوار المقترن باستثمار الفرص الملائمة ، وتوظيف المشاهد الواقعة أمامه ليُنَفِّر من الغيبة ، ويُرَهِّب من قبحها ، وقد تحقق الترهيب على أتم وجه وأكمله ، وقد قام هذا الطريق على أكتاف مجموعة من الأساليب التعبيرية التي نقلت المعنى بكل دقائقه .

---

[١] ينقمس : ينغمس ويغوص فيها ، ينظر عون المعبود على شرح سنن أبي داود ، ص ٢٠٤٨ .

[٢] شرح سنن أبي داود ، ابن رسلان، ج ١٧ ، ص ٣٩٧ .

المبحث الثالث

طريق القصة وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي

ويشتمل على حديثين :

أولًا : حديث (إنهما ليعذبان ...) .

آخرا : حديث (لما عُرِجَ بي ...) .

أولًا :

حديث (إنهما ليعذبان ...).

عن ابن عباس ﷺ قال مَرَّ رسول الله ﷺ على قَبرَينِ فَقال : إنَّهما لَيُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ : أَمَّا هذا فكان لا يَستَتِرُ من بَولِهِ ، وأَمَا هذا فكانَ يَمشي بالنَّميمة ، ثُمَّ دَعا بِعَسيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّه بِاثْنَيْنِ فَغَرَسَ عَلى هذا واحِدًا وعَلَى هذا واحِدًا ثُمَّ قَال لَعلَّهُ يخَفَّفُ عنهُما ما لَمْ يَيْبَسا)[١] .

المتأمل في هذا الخطاب النبوي يجد أنه قد اتخذ طريق القصة[٢] لعرض معنى الترهيب من عدم الاستبراء من البول ، ومن النميمة ، والقصة النبوية هنا تندرج تحت القصة الغيبية التي ((تتحدث عن أمور غيبية خاصة، تحدث في الواقع غير المنظور للإنسان ، دون أن يحس بها ، أو يشعر وجودها ، ولا سبيل على الإطلاق إلى معرفة أي شيء منها إلا عن طريق من طرق الوحي ، التي يأذن الله بها حين يشاء))[٣] .

وقد ظهرت العناصر القصصية من حدث وشخصيات ومكان وزمن[٤] ، في هذا الحديث ،

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ، وقول الله تعالى : وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢ ، رقم (٦٠٥٢) ، ص ١٥١٦ .

[٢] وبالأدق القصة القصيرة جدًا التي تجيء على درجة متناهية القصر ، إلى حد أن تصل أحيانًا إلى شكل الخبر القصصي ، ينظر ، القصص في الحديث النبوي ، دراسة موضوعية فنية ، د/ محمد بن حسن الزير ، ص ٤٣٣ ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م .

[٣] السابق ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، وينظر أنواع القصة النبوية ، ص ٣٣٣ من هذا الكتاب .

[٤] وأما الحوار فإنه وإن كان من أهم العناصر القصصية إلا أنه ليس مطردًا فيها ، نظرًا لوجود أساليب أخرى قد يفضلها القاص ، فـ ((أسلوب القصة يقوم على الوصف أو السرد أو الحوار ، وكل كاتب يتخير الأسلوب الذي يروق له ، وتطمئن إليه نفسه ليرسم به شخصياته)) ، وهذا الأمر ينطبق على القصة النبوية فـ ((قد نفقد عنصر الحوار في بعض القصص)) ، ومن ثم كان الأسلوب المتبع في الحديث الذي معنا هو أسلوب السرد الذي سنتناوله من خلال التعرض لبلاغة تركيبه ، وأسرار بنائه ، ينظر النص الأول : عضوية الحوار في العمل القصصي ، د/ عبد اللطيف محمد الحديدي ، ص ٣ ، بدون ، وينظر النص الثاني : القصص في الحديث النبوي ، ص ٢٣٢.

واضحة جلية ، وأدت دورها المنوط بها في قوة وبراعة .

واتسم كل عنصر من هذه العناصر بالثنائية والتوزع بما يتفق مع الغرض الذي يهدف الحديث إليه ، وهو رسم مشهد الجزاء والعمل في آن معًا ، ليُرَهِّب من العمل باستحضار الجزاء ، ومن ثم برز الحدث موزعًا بين العذاب ، وبين عدم الاستبراء من البول ، والمشي بالنميمة ، والشخصية موزعة كذلك من خلال صاحبي القبرين اللذين تمحور الحديث فيهما وقت الجزاء ، ووقت العمل ، فوقت الجزاء يشملهما العذاب معًا ، ووقت العمل أحدهما لا يستبرأ من بوله ، والآخر يمشي بالنميمة ، وبدا عنصرا المكان والزمان كذلك منقسمين بين القبر وما وراءه من انتقال الروح للملأ الأعلى ، وبين الأرض التي كانوا يدبون . وقت حياتهم . عليها، فالزمان والمكان يندمجان معًا ، ليعمقا ((لدى القارئ أو السامع الإحساس بالحدث والشخصيات ، بحيث يأتي العرض القصصي أكثر تأثيرًا وفاعلية))[١] .

وهكذا تتبلور عناصر القصة وتنسبك في بوتقة واحدة ، لتلتقط بُعدين للشخصيتين ممثلين في العقاب القائم ، والعمل الفائت لتجعل الترهيب من عدم الاستبراء من البول ، ومن المشي بالنميمة يبلغ من المتلقي أعلى درجات الخوف والحذر ، ومن ثم فقد كان لطريقة عرض المعنى بالقصة . هنا . الأثر الفاعل ، في استقطاب المتلقي ، والغاية القصوى في إمتاعه وإقناعه ، فطريق القصة مشهودٌ له بـ (خفته على النفوس ، وتأثيره في العواطف الإنسانية لما يتميز به من عوامل الاستثارة)[٢] ، والقصص النبوي . على وجه الخصوص . قصص ((هادف ينبع من التصور الإسلامي ، والواقع التاريخي ، ويمثل الصراع بين قوى الخير وقوى الشر في النفوس ، يزكي جانب الخير ، ويحث عليه عن طريق غير مباشر ، وهو بيان جزاء كل شخصية حسب عملها الذي قدمته))[٣] .

وإذا كان هذا الحديث قد اتخذ طريق القصة لعرض معناه ، فإنه في الوقت ذاته قد اعتمد في بناء هذه القصة على مجموعة من الأساليب والأدوات الفنية ، التي عمقت . بطاقاتها ودلالتها . من استقطاب المتلقي ، وطبع المعنى داخله في قوة ورسوخ .

وأول ما يطالعنا من هذه الأساليب والأدوات توظيف (إنَّ) المؤكدة المقترنة بضمير الشأن

---

[١] القصص في الحديث النبوي ، ص ٣٢٩ .

[٢] الخصائص الفنية في الأدب النبوي ، د/ محمد بن سعد الدبل ، ص ١٣٧ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، سلسلة نشر الرسائل الجامعية العليا ، بدون ، بتصرف يسير .

[٣] الحديث النبوي ، رؤية فنية جمالية ، د/ صابر عبد الدايم ، ص ٦٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ٢٠١٩م.

والحال ، التي جعلت الاستهلال في غاية التأكيد والتشويق ، وإذا تأملنا دلالة التأكيد هذه في ضوء المتلقين الخاليين الذهن من الخبر المساق إليهم ، نجد أنها قد نزلتهم منزلة المترددين أو المنكرين للخبر ، وذلك دفعًا لأي تعجب منهم ، ومجابهةً لأي استعظام منهم للخبر الآتي المحاط بظلال الهول والتنكيل ، كما أنَّ دخول (إن) على ضمير الشأن والقصة قد أضفى على الكلام حسنًا وجلالًا ، وفخامةً وتشويقًا ، فمن خصائص "إنَّ" ((أنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه))[١] ، ذلك أن ((الضمير يدل على مدلوله دلالة غير مفسره ولا واضحة فهي دلالة مبهمة يشوبها الإجمال وأن ما يلي هذا الضمير من جملة الشأن أو الحال أو القصة يدفع هذا الغموض ، ويمحو هذا الإبهام ، إذ إن الضمير حين يسمعه السامع لا يفهم منه معنًى مفسرًا ، ومفصلا ، وواضحًا . وهنا تترقب النفس تفسيره ، وتقف منتظره هذا المفسر الذي يعقبه ، ويأتي من بعده . فإذا جاءت جملة الشأن والحكاية بعد ذلك جاءت والنفس ظمأى إلى المعرفة ، متحرقة إلى دفع الغموض الموجود في الضمير ؛ فيستقر فيها ، ويتمكن منها فإذا كانت "إن" مرافقة للضمير ، وكان الضمير معها كان التوضيح بعد الإبهام أمكن ، وكان التفصيل بعد الإجمال أثبت وآكد))[٢] .

وعود الضمير (هما) على القبرين يعطي مجازًا مرسلاً علاقته المحلية ، إذ أطلق القبرين ، وأراد صاحبيهما ، وهو مجاز يشير منذ البداية إلى شخصيتي القصة مصدر الأحداث ومبعثها ، ويسلط الضوء عليهما لمتابعة التسلسل السردي من بدايته حتى نهايته لإدراك العبرة والعظة ، كما أن هذا المجاز . من ناحية أخرى . يتناسب مع واقعية المشهد ، وحقيقة الموقف ، فما يشاهده الصحابة الكرام المتلقين للخبر حينئذٍ إنما هما القبران الباديان أمامهما . وإن كانوا يدركون ضمنًا أن الكلام منصب على صاحبيهما ، وهذا المزج الآتي من القبرين وصاحبيهما المنبثق من هذا المجاز ، مما يرسخ المعنى في النفوس ويطبعه فيها في قوة وتمكن .

ويأتي الخبر (ليعذبان) ليبرز الحدث المتعلق بالشخصيتين ، وليصوره في جلاء ووضوح ، وهو حدث يفاجئ المتلقي ، ويدهش المخاطب بهول وقعه ، وقتامة دلالته ، وبظلاله المخيفة المؤلمة ، ولا يخفف حينئذٍ من هذه المفاجئة والدهشة لدى المتلقي سوى التأكيد المكثف الصادر من "إن" في صدارة الكلام ، ومن "اللام" السابقة له اللذين يتآزران معًا في تثبيت الحدث ، وتأكيد وقوعه في ذهن المتلقي ووجدانه .

---

[١] دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ص ٣١٧ ، قراءة وتعليق ، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط ٥ ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤ م .

[٢] دراسة نقدية وبلاغية ، د/ الوصيف هلال الوصيف ، ص١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م .

وكان هذا الحدث أكثر رسوخًا بصيغة المضارع التي أتى عليها ، إذ عمل على استحضار صورة العذاب ، وجعلها شاخصة ماثلة أمام المتلقي ، وعملت على بث الحيوية والحركة في المشهد مما دفع المتلقي إلى أن يصول بعقله ويجول ليتأمل ويتخيل المصير المؤلم ، والعذاب الوخيم الذي يلف هذين القبرين ، إذ يتقلب فيه صاحبهما في تنكيل وشقاء .

والناظر في الحدث الذي تصدر القصة (إنهما ليعذبان) يجد أنه نتيجة مترتبة على عمل ، ومسببٌ مستحق لسبب ، ومن ثم فإن الرسول ﷺ قد بدأ القصة بالنهاية التي آل إليها صاحبا القبرين ، ((والسرد لا يلتزم حتما بالترتيب الطبيعي والمنطقي للقصة كما يُتصوَّر أنها جرت في الواقع ، بمعنى أن السارد يمكن أن يبدأ سرده من أي نقطة أراد سواء كانت تشير إلى لحظات البداية أم الوسط أم النهاية))[١] ، (والغاية من وراء ذلك كله جعل القارئ يواجه الحدث القصصي بطرائق غير معهودة لديه سابقًا ، وبهذه الوسيلة يترسخ المغزى داخل ذهن المتلقي بصورة أعمق)[٢] ، إذ يسعى في شغف ولهفة وتطلع للوقوف على العمل والسبب الذي استدعى هذا العذاب المؤلم ، والمصير المخزي ، فإذا أتاه بعد ذلك انطبع في وجدانه ونفسه على أتم وجه وأكمله ، و ((الشيء إذا نيل بعد طلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ، وبالميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف))[٣] ، ومن ثم يتحقق المغزى المقصود من الترهيب من عدم الاستبراء من البول ، ومن المشي بالنميمة بين الناس .

كما أن ابتداء القصة بهذه البداية (إنهما ليعذبان) . والتي تعد نهاية الأحداث وبما تتضمنه من إشارات ودلالات . تربي داخل نفس المتلقي توقعًا ، وتثير لديه عددًا من الأسئلة ؟

أما التوقع فهو : عِظَمُ الجُرم المرتكب ، وكِبَر الذنب المقترف . وأما الأسئلة فهي : هل اشترك صاحبا القبرين في ذنبٍ واحد ، أم انفرد كل واحدٍ بذنب مختلف عن صاحبه ؟ وما هذا الذنب في حال اشتراكه بينهما ؟ وما هذان الذنبان في حال التفرد ؟

وبعد أن يبلغ الشوق الذروة بالمتلقي تأتي الجملة الحالية (وما يعذبان في كبير) لتدفع التوقع السابق ، وتبقي الأسئلة قائمة ؛ إذ تنفي . من خلال القيد (في كبير) . فظاعة الذنب ، وكِبَر الجرم، وفي الوقت ذاته تثبت حصول العذاب ، وتؤكد حدوثه ، وهي بذلك تُعد تكرارًا ضمنيًا للجملة الأولى

---

[١] القصة القصيرة في العالم العربي ، ظواهر بنائية ودلالية ، د/ حميد لحمداني ، ص ١٤٧ ، مطبعة آنفو برانت ، ط١ ، ٢٠١٥م .

[٢] السابق ، ص ١٤٨، بتصرف .

[٣] أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، ص ١٣٢ ، مكتبة الإيمان ، بدون .

تضغط على مضمونها ، لتزيد صورة العذاب وضوحًا ورسوخًا داخل وجدان المتلقي وعقله .

وبعد أن رصدت الجملتان السابقتان العذاب الواقع بالشخصيتين الكائنتين في قبرهما ، بعد انتقال روحيهما إلى الملأ الأعلى ، تنتقل القصة إلى التفصيل ببيان سبب العذاب باعتباره الحدث الذي ترتب عليه العذاب السابق .

لذا تجيء جملة : (أما هذا فكان لا يستبرأ من بوله) لتجيب عن الأسئلة المثارة السابقة ، وتؤكد من خلال توظيف حرف التفصيل (أما) . في الصدارة . بأن هناك فصلا بين صاحبي القبرين في الذنب المرتكب ، ولتكشف بمحتواها عن ذنبٍ متعلق بصاحب أحد القبرين ، والمتمثل في عدم الاستبراء من البول .

والمتأمل في الجملة السابقة يلاحظ أنها ترصد الحدث المرتبط بأحدث الشخصيتين أثناء حياته الدنيا ، بما في ذلك من ظهور لعنصري الزمان والمكان كذلك ، كما يلاحظ . من ناحية أخرى . أنها قد احتشدت بالألفاظ والوسائل التي أدت المعنى في براعة ، ونقلته في وضوح وقوة ، الأمر الذي عاد على المتلقي في النهاية فكان في غاية الرهبة والنفور من الفعل المترتب عليه العذاب السابق.

فقد تصدرت بالحرف (أما) والذي بما فيه (من معنى الشرط)[1] يُقَوِّي معنى الملازمة والمصاحبة ، بين ذات الشخص المعذَّب ، وبين عدم استبرائه من بوله ، ويؤكد مداومته عليه ، واستهانته به في حياته ، واسم الإشارة (هذا) يعمل على تحديد الشخصية المعذَّبة ، ويجعلها شاخصة واضحة أمام العين ، كما أن في التعبير بالإشارة قوة في نسبة الخبر الآتي إليه ، وتدليل على شدة التصاقه به ، وتمام وضوحه فيه ، والفعل (كان) بدلالته اللغوية يدل على تمكن الخبر الآتي منه ، وأنه صار جزءًا من كينونته ، ومكونًا من شخصيته ، لا يفارقه ، ولا يكف عن ممارسته ، فهو يأتي ((للحالة المستمرة غالبًا))[2] ، كما أنه بدلالته الماضوية يؤكد شدة تحقق الصفة الآتية فيه ، ومن جانب آخر تعطي عنصرًا زمنيًا ، يضفي واقعية على القصة ، إذ يرتد الرسول ﷺ إلى الزمن المنصرم للشخصية ليسلط الضوء على الذنب المرتكب منها في حياتها الذي أودى بها إلى العذاب المقيم ، وهذا ما يضاعف من انجذاب المتلقي نحو القصة ، ويأتي الذنب المرتكب في نهاية المطاف ليترسخ في الذهن بقوة وضوحه : (لا يستتر من بوله) فـ (لا) النافية ، بتأصلها في باب النفي ، وشدة قوتها فيه، تنفي في وضوح استتاره من بوله ، وتؤكد عدم توقيه منه، وملازمة هذا النفي له ، ومصاحبته له ، كما أن الفعل (يستتر) بدلالته اللغوية يظهر نجاسة

---

[1] الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ، ص ٥٢٢، تحقيق د/ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .

[2] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، ج ٣ ، ص٧٧٠ .

البول في صورة كريهة مؤذية توجب على الإنسان أن يحتشد للابتعاد عنها بالاستتار والتغطية ، ويمعن في الاحتراز منها بالحواجز والموانع التي تحول دون وصول شيء منه إلى ملابسه أو جسده ، حتى لا يصير نجسًا ، فلا يصح له وضوء ، ولا تقبل منه صلاة ، والدلالة الزمنية للمضارع تصور الاستمرارية في عدم الاستتار من البول ، بما يعكس دوام استهانته بأمره ، وعدم احترازه منه .

وتأتي الجملة الثانية: (وأما هذا فكان يمشي بالنميمة) لتُكْمِل التفصيل السابق ، وتفصح عن الذنب الآخر المرتكب من صاحب القبر الآخر بما يعد إجابة عن السؤال المتبقي داخل نفس القارئ بما يشفي غليل شوقه ، ويشبع لهفة تطلعه ، الأمر الذي يعود على المعنى فيجعله أشد تمكنًا ورسوخًا لديه.

وأول ما يلاحظ على أسلوب هذه الجملة أنها تشكلت على نسق الجملة السابقة ، فبعد أن تصدرت بالواو العاطفة . التي تعلن عن المشاركة بين الجملتين في الحكم المتعلق بهما ، وهو العذاب الذي تصدر القصة . وظفت حرف التفضيل (أما) ثم اسم الإشارة (هذا) ثم الفعل الماضي (كان) ثم اتبعت ذلك بذكر الذنب المقترف .

وتكرار الشق الأول منها (أما هذا فكان) يُخَلِّفُ دلالةً معنويةً مشابهةً للدلالات التي تم ذكرها في الشق الأول من الجملة الأولى ، بالإضافة إلى أنه أعطى القصة النبوية توازنًا موسيقيًا ، وتوافقًا نغميًا عمق من فاعلية تمكين المعنى في ذهن المتلقي ، كما أن بناء هذه الجملة على هذا النحو المفصل قد أطال أمد انتظار المتلقي المتلهف لمعرفة الذنب الخاص بصاحب القبر الثاني . (الحدث الخاص به) . مما جعله آكد في عقله لأنه أتاه بعد استثارة له ، وسعى في الوصول إليه .

والمتأمل في الجزء الأخير من هذه الجملة (يمشي بالنميمة) يجد أن صياغته تتسم بالوضوح الآسر ، وبالقرب الكامل من المتلقي الأمر الذي عاد على المعنى فكان أسرع وصولا إلى القلب ، وتمكنًا في النفس ، ويجد كذلك أن هذا الجزء قد كشف عن البعد الداخلي للشخصية المرتكبة للذنب، ورصدته في براعة منقطعة النظير ، وما هذا إلا بفضل البلاغة النبوية التي تحاصرك بجلال تركيبها ، وجمال وقعها ، وتغمرك بنورها الفياض الذي لا تملك أمامه إلا الإعجاب والانبهار .

فالفعل (يمشي) بما يدل عليه من ((اعتدال في الحركة ، وتوسط بين البطء والسرعة ، وطمأنينة وسكينة))[١] ، يصور اعتياده على النميمة ، وتطبعه بها حتى صارت خليقة ثابتة فيه ،

---

[١] أثر السياق في اصطفاء التعبير بالسعي والمشي في النظم القرآني ، أ د / أحمد السيد طلحة ، ص ١٤٠، الفقي للطباعة والنشر ، ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م .

كما يصور مدى استساغته لها ، ومداومته عليها ، وأنه لا يتحرج من فعلها ، بل أضحى يمارسها بتلقائية وهدوء ، كما تدل صيغة المضارع على استمراره عليها ، وتجدد قيامه بها، والجار والمجرور (بالنميمة) يعمق الدلالة السابقة فحرف الجر (الباء) بما يفيده من معنى المصاحبة يكشف عن دوام مصاحبة هذه الشخصية للنميمة، واستمرار ملازمته لها ، وباء المصاحبة هذه ((سماها كثير من النحويين باء الحال وذلك لصلاحية وقوع الحال موقعها))[١] ، وعلى هذه التسمية يكون المعنى هنا (يمشي نمامًا) ، وهذا المعنى يصور الهيئة الثابتة اللازمة لهذه الشخصية فهي دائمًا وأبدًا تقوم بالنميمة ، والنميمة تلازمها في حلها وترحالها ، فهذا المُعذّب كان ينم كما يتنفس ويأكل ويشرب ، وكان يقوم بها ويقعد ، إشباعًا لرغبات نفسه الدنيئة ، التي تدفعه دفعًا إلى هذا السلوك المحظور ، رغبةً في إلحاق الأذى بالآخرين ، وحرصًا على نشر العداوة والبغضاء بين المسلمين ، بما يترتب عليه في النهاية خلخلة بناء الإسلام المحكم ، وتهاوي أركانه، ومن ثم استحق العذاب الذي يلاقيه في آخرته جزاءً وفاقا .

وبهذا تنتهي القصة التي هدف الرسول ﷺ من ورائها الترهيب من عدم الاستبراء من البول ، ومن النميمة بين الناس ، وقد تحقق هذا الترهيب لدى المتلقي الذي وقف على العذاب النازل بصاحبي القبرين .

وعن سر الاقتران بين هذين الذنبين ، والجمع بينهما في هذا العذاب ، وهذا الحديث ، فقد قال صاحب فتح الباري : ((أبدى بعضهم للجمع بين هاتين الخصلتين مناسبة ، وهي أن البرزخ مقدمة الآخرة ، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله : الصلاة ، ومن حقوق العباد: الدماء ، ومفتاح الصلاة : التطهر من الحدث والخبث ، ومفتاح الدماء : الغيبة والسعي بين الناس بالنميمة بنشر الفتن التي يسفك بسببها الدماء))[٢] ، ويمكن أن يكون سبب الاقتران هو الاستهانة بفعلهما ، والاستخفاف بشأنهما ، اعتقادًا بهوانهما ، ولعدم الاكتراث بآثارهما ، ولذا قال الرسول ﷺ و (ما يعذبان في كبير) أي ((ليس بكبير في اعتقادهما أو في اعتقاد المخاطبين ، وهو عند الله كبير كقوله تعالى : ((وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم)) ، وقيل ليس بكبير في مشقة الاحتراز ، أي كان لا يشق عليهما الاحتراز من ذلك))[٣] ، فالمرء يستهين بالطهارة من البول ثم يصير نجسًا لا تقبل صلاته ، ويستهين بالنميمة ثم يترتب عليها تصدع بنيان المجتمع ، وانتشار الكره والبغضاء

---

[١] الجني الداني في حروف المعاني ، ص ٤٠ ، بتصرف .

[٢] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، أحمد برهوم ، سعيد اللحام ، ج ١٨ ، ص ٤٢٣ ، دار الرسالة العلمية ، ط ١ ، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م .

[٣] السابق ، ج١ ، ص ٣١٨ .

بين جنباته ، هذا فضلا عن قبح صورة النمام ، وتدليله بنفسه على خبث طويته ، وانحطاطه ، وقلة مروءته .

وإذا كانت القصة قد انتهت بعد وقوف المتلقي على سبب العذاب ، وسر العقاب ، إلا أن الرسول ﷺ يتدخل بالتعقيب عليها قولًا وفعلًا من خلال ما ذكره الراوي في الفقرة الأخيرة من الحديث: (ثم دعا بعَسِيبٍ رَطْبٍ فشقه باثنين[١] فغرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ثم قال لعله يُخفف عنهما ما لم يَيْبَسا) ، يؤدي تكرار "ثم" . بما تفيده من التعقيب والتراخي . في هذه الفقرة دورًا محوريًا في نقل تفاصيل هذا المشهد ، إذ تكشف في المرة الأولى عن وجود فترة زمنية بين انتهاء الرسول ﷺ من إلقاء قصة صاحبي القبرين ، وبين طلبه عسيب رطب ليشقه ويغرس كل شق منهما على قبر ، وكأن العذاب الشديد الذي يتقلب فيه صاحبا القبرين دفعت الرسول ﷺ إلى التأمل والتفكر للبحث عن وسيلة تُخَفِّفَهُ ، وتَحُد من قَسوتِه ، ومن ثم فقد طلب ما طلبه من العسيب الرطب، كما تكشف في المرة الثانية عن وجود مسافة زمنية بين انتهائه ﷺ من فعل الغرس، وبين قوله : (لعله يُخَفَّف عنهما ما لم يَيْبَسا) ، هذا القول الذي جاء ليجيب عن السؤال المثار في ذهن الصحابة ، وهو لم فعلت هذا ؟ وهذا ما صرحت به رواية أخرى لهذا الحديث ، ((فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا ؟))[٢] .

والمتأمل في معنى الرجاء والتوسل المنبثق من الحرف (لعل) الواردة في الفقرة السابقة يجد أنه قد انصب على تخفيف العذاب ، وليس على إذهابه ودفعه بالكلية ، ويجد . كذلك . أن انصبابه على تخفيف العذاب ، لم يأت على إطلاقه بل جاء مقيدًا بمدة زمنية قصيرة ، وهي مدة طراوة العسيب وخضرته ، وهذا ما يعكس شدة العذاب وضراوته من ناحية ، ويؤكد أن رجاء التخفيف مرهون بفترة زمنية قصيرة ، وأن الشدة والضراوة حتما ستعود إلى طبيعتها مرة أخرى عقب يبس العسيب ، وفقده لطراوته .

وإذا علمنا أن هذا الفعل والقول . أعني وضع العسيب الرطب على القبر برجاء تخفيف العذاب . خاص بالنبي ﷺ ، تبين لنا عدم تجدد رجاء تخفيف العذاب مرة أخرى ، وأنَّ صاحبي القبرين سيظلان في عذاب مستمر.

ويتبين لنا في النهاية أن التعقيب الذي جاء محاولة من الرسول ﷺ لتخفيف العذاب عن صاحبي

---

[١] باثنين : الباء زائدة للتوكيد ، ينظر السابق ص ٣١٩ .

[٢] ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، تأليف الإمام بد الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ، ضبط وتصحيح علي عبد الله محمود عمر ، ج٣ ، ص ٧٧٠ ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م .

القبرين ، يحمل في طياته الدلالة على شدة العذاب واستمراره ، بما يُرهِّب من الذنبين ، ويمعن في التنفير منهما.

وينتهي هذا الحديث الذي اتخذ طريق القصة للترهيب من عدم الاستبراء من البول ، ومن النميمة ، وقد اعتمدت القصة في بنائها على عددٍ من الأساليب اللغوية ، والأدوات الفنية التي نقلت المعنى إلى المتلقي في وضوح وقوة ، فوجدنا التأكيد ، والتفصيل ، والتكرار، والنفي ، والتشويق ، وتقديم الجزاء على العمل ، واستثمار صيغة المضارع ، كما جاء التعقيب من الرسول ﷺ في النهاية مليئًا بالدلالات والإشارات التي تعمق من الترهيب ، وتؤكد شدة العذاب واستمراره ، ومن ثم فقد تحقق المغزى من الحديث ، وتأكدت العبرة والعظة داخل عقل المتلقي ووجدانه الأمر الذي يدفعه إلى مجانبة الذنبين السابقين ، لما لهما من مآلٍ سيئ وعاقبةٍ وخيمة .

آخِرًا :

آخِرًا : حديث (لما عُرِجَ بي ...)

عن أَنس بنِ مَالِكٍ قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : ((لمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُم أَظْفَارٌ من نُحَاسٍ يَخمِشُونَ وُجُوهَهُم وصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ مَن هَؤُلاءِ يا جِبريلُ ؟ قَال : هؤُلاء الذين يأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ، ويقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ))[١] .

يَعرض علينا الرسول ﷺ في هذا الحديث بعض مشاهداته في رحلة المعراج ، وقد جاء هذا العرض في إطار قصصي ، يهدف من ورائه استثارة المتلقي ، وجذبه نحو المعنى الملقى عليه ، فيروي لنا ﷺ أنه رأى أشخاصًا لهم أظفار من نُحاس يجرحون بها وجوههم وصدورهم ، مما دفعه إلى أن يسأل سيدنا (جبريل) عليه السلام ، . الذي كان مرافقًا له في رحلته . عن السبب الذي أودى بهؤلاء الأشخاص إلى هذه الحالة المفزعة ، ومن ثم تأتي الإجابة بأنهم كانوا يغتابون الناس ، ويقعون في أعراضهم .

والمتأمل في عرض الحديث السابق يجد العناصر القصصية قد ظهرت فيه واضحة جلية ، فبدا الحدث من خلال الفعل الدامي المؤلم الذي كان نتيجة لحدث آخر تسبب عنه هو الغيبة ، والوقوع في الأعراض ، وظهر الزمان والمكان تبعًا لذلك موزعين بين الحياة الأخرى ، والحياة الأولى لهؤلاء الأشخاص ، فالحدث الأول (العقاب) كان المكان فيه هو (السماء) ، والزمن وقت معراج الرسول ﷺ ، والحدث الثاني (العمل) كان المكان فيه هو الأرض التي أقلتهم ، والزمان وقت حياتهم فيها ، والشخصيات التي شملها الحدث والزمان والمكان هي التي تعذب في السماء ، وهي أيضًا من كانت تغتاب في الأرض .

وأما عن الحوار الظاهر في الحديث الشريف فمرده إلى طبيعة بناء هذه القصة ، إذ قامت على أكتاف مشهدين اثنين ، جاء المشهد الأول منها ليعرض ما رآه (الرسول) ﷺ ثم سؤاله عنه ، ثم جاء المشهد الثاني ليجيب فيه سيدنا (جبريل) عن السبب ، ومن ثم فإن هذا الحوار لم يكن بين شخصيات القصة ، وإنما هو حوار بين من شاهدوها ، وكان لهذا الحوار دور فاعل في إثراء القصة ، وتعميق تفاعل المتلقي معها ، إذ إنه بمنزلة قُطب الرَّحى الذي يجمع بين ركني هذا الحديث في إحكام وتناسب .

ويلاحظ القارئ أن ابتداء الرسول ﷺ حديثه بالنتيجة وجعله في صدر كلامه ، بهذه الصورة المرعبة المفزعة ، قد ملك به جماع حواس المتلقي ، وسيطر به على أقطار نفسه ، فأقبل متلهفًا متشوقًا لمعرفة السبب ، والوقوف على الإجابة ، مما جعلها فيه أشد وقعًا ، وأعمق أثرًا ، ومن ثم

---

[١] سنن أبي داود، كتاب الأدب ، باب : في الغيبة ؛ رقم (٤٨٧٨) ج٣ ، ص ٢٧٤.

أدرك العاقبة الوخيمة للغيبة ، والخوض في أعراض الناس ، وأيقن بضرورة تأديب نفسه ، وإبعادها عن هذا الغي الذي يهلك ويُعذِّب ، وهذا قمة في الترهيب من الغيبة ، ونهاية في التحذير منها .

هذا عن الطريق والإطار العام الذي عرض الرسول ﷺ معنى الترهيب من الغيبة من خلاله ، أما عن الأساليب التي وُظِفت للتعبير عن المعاني داخل هذا الإطار فقد اتسمت ببلوغها الغاية في الحسن والبراعة الفنية ، واستطاعت أن تستقطب المعنى في ذهنه في رسوخ وقوة .

وإذا ما توجهنا لدراسة هذه الأساليب داخل المشهد من هذه القصة : ((لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، قلت من هؤلاء يا جبريل ؟)) نجد أن الرسول ﷺ يصدر كلامه بالظرف (لما) ، والذي يؤذن بقص ما رآه ، واستحضار ما شاهده ، كما أنَّ هذا الحرف بما فيه من الإبهام والشرط ، يحفز السامع إلى متابعة مدخوله ، وانتظار ما يترتب عليه ، ويتعلق به ، ثم يأتي الفعل (عُرِجَ) ليمد القصة منذ بدايتها بعنصري الزمان والمكان ، كما أنه بدلالته اللغوية يصاعد من لفت المتلقي وجذبه ، إذ يحيل عقل المتلقي إلى رحلة المعراج المباركة ، ويجعله يتأهب لسماع خبر من الأخبار الغيبية التي اختص الرسول ﷺ برؤيتها ضمن ما اختص به من معجزات .

ومجيء هذا الفعل بصيغة الماضي ، وبالبناء لما لم يسم فاعله ، ضاعف من تأكيد الدلالة اللغوية السابقة ، وعمق من صدق مضمونها ، وواقعية المشهد الذي تعرضه ، فالمتلقي يعلم أن الرحلة المباركة قد تمت بالفعل ، وانتهت أحداثها ، ويعلم كذلك أنها تمت بقدرة الله ومشيئته ، وبمعاونة جبريل عليه السلام ، وإرشاده فيها ، إذ إن النفاذ من أقطار الأرض إلى السموات العلا لا يتم إلا بسلطان من الله تعالى وإرادة منه ، ولذا جاء الجار والمجرور (بي) ليعمق في ذهن المتلقي صورة ارتقاء الرسول ﷺ إلى السماء ، بقدرة الله تعالى ، وليعكس انفراده بهذه الرحلة ، واختصاصه بها ، وكل هذا ما يجعل المتلقي في قمة التأهب لسماع الخبر أو القصة التي سينقلها الرسول ﷺ .

ويأتي جواب لما (مررت بقوم ....) ليفصح عن الخبر الذي يريد الرسول ﷺ أن ينقله إلينا من مشاهداته في رحلة المعراج ، والباء في قوله : (بقوم) للإلصاق المجازي[1] الذي يدلل على شدة قرب الرسول ﷺ من هؤلاء القوم ، الأمر الذي يؤكد وضوح المشاهدة ، وجلاء الرؤية ، وهذا ما يشوق المتلقي لمعرفة حالهم وصفتهم في حياتهم الأخرى التي انتقلوا إليها ، فلاشك أن الخبر الآتي من السماء ، خبر خارق للعادة ، مخالف للمألوف ، تطمع النفس في إدراكه والوقوف عليه ، وهذا ما يجعل التفاعل مع شخصيات القصة وأحداثها في أوج حدته ، ونهاية احتدامه .

---

[1] فنحو مررت بزيد قال فيه الزمخشري : المعنى : التصق مروري بموضع يقرب منه ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

ولا يطيل الرسول ﷺ أمد انتظار المتلقي المتلهف لسماع الحدث الصادر من هذه الشخصيات فيؤكد مباشرة أن لهم أظفارًا من نحاس يجرحون بها وجوههم وصدورهم ، وهو حدث يشع بكل مظاهر العذاب والتنكيل ، ويعج بكل صفات الخزي والفزع ، كما أنه يعد الركيزة التي يقوم عليها هذا المشهد ، والذي يهدف إلى تقديم هذه الصورة المرعبة كمآلٍ وخيم ، وعاقبة سيئة لمن يغتابون الناس ، ويقعون في أعراضهم على حد ما يأتي به المشهد الثاني من هذه القصة .

والبدء بذكر العاقبة على العمل في هذه القصة يتلاءم مع الهدف الذي يسعى إليه الرسول ﷺ وهو الترهيب من الغيبة ، وتبشيع أثرها ، وتشنيع مآلها ، فلاشك أن تصدير الكلام بهذا الحدث المفزع يجعل ظلاله تنطبع بكل قوة في وجدان المتلقي مما يجعله يسعى لمعرفة السبب المؤدي إليه ؛ فإذا جاء بعد ذلك كان عنه أبعد ، وعن اجتنابه أحرص ، كما أن البداية بتصوير هذا الحدث ينسجم مع التطور الطبيعي لرؤية الشخصيات فيها ، فالرسول ﷺ شاهد أقوامًا يتصفون بصفات مفزعة مرعبة فما كان منه إلا أن سأل سيدنا (جبريل) عليه السلام عنهم ، فكانت الإجابة منه كاشفة عن السبب ومبينة عنه ، وهذا التوافق بين رؤية المشاهد وتصويرها جعل القصة تتسم بالواقعية وهو ما انتزع القبول والاستحسان من المتلقي .

وعندما نقترب من هذا المشهد لنتأمل دلالات تراكيبه ، وأركان بنائه نجد أنه قد بلغ الغاية في رصد الهيئة المفزعة لهؤلاء القوم ، وتصوير ضراوة العذاب والتنكيل النازل بهم .

وأول ما يطالعنا من ذلك قوله ﷺ (لهم أظفار من نحاس) فيتقدم المسند المكون من لام الاختصاص والاستحقاق ، والضمير (هم) ليفيد هذا التقديم التخصيص المفضي إلى تعميق التشهير بهم ، وتأكيد تمكن الأظفار النحاسية منهم ، وترسخها فيهم ، بما لها من ظلالٍ مخيفة ، وأصداء مفزعة.

ولك أن توازن هذا التركيب النبوي بقولك : (أظفارهم من نحاس) ، لتقف على البراعة التعبيرية النبوية التي أثرت الحدث ، وعمقت رسم ظلال المشهد ، فزيادة لام الاختصاص والاستحقاق في البيان النبوي دلت على أن هذه الأظفار كأنها قد سُبكت لهم خصيصًا ، ورُكِبَّت فيهم تركيبًا ، بعد أن انتزعت أظفارهم المعهودة ، وحلت محلها الأظفار النحاسية الحمراء الشديدة القوة ، العاتية الحدة، وهذا ما يعمق من بشاعة المنظر ، وشدة قسوته ، ويدل على غاية التنكيل بهم .

وبعد أن اشتد شوق المتلقي لمعرفة العمل المنوط بهذه الأظفار المعدنية العجيبة لدى هؤلاء القوم ، يأتي التوضيح من الرسول ﷺ بقوله ((يخمشون[1] وجوههم وصدورهم)) ، أي يجرحون بها

---

[1] خمش فلانا خمشا وخموشا : جرح بشرته ، الوجيز: (خمش) ، ويخمشون : يجرحون ، ينظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ج ٨ ، ص ١٥.

وجوههم وصدورهم ، ولك أن تتأمل هذا المشهد الذي يلف هؤلاء القوم ، وهم تحت تأثير هذه الأظفار العجيبة التي تشق جلود وجوههم وصدورهم ، وتخترق لحومهم ، لترتطم بجماجمهم ، وأقفاص صدورهم ، ثم تبدأ في نحت الجماجم والأقفاص ، وكل العظام التي تطالها ، مع ما يصحب ذلك من دماء نازفةٍ تسيل على الأيدي وجميع أجزاء الجسد ، وصراخ وعويل يضاعف من فداحة المشهد ، وبشاعة العذاب ، وشدة الألم .

والفعل المضارع (يخمشون) يصور تجدد واستمرار الفعل منهم فهم لا يتوقفون عن خدش وجوههم وصدورهم ، بل يقومون بهذا الفعل الضاري في حركة دائبة لا تكل ولا تمل ، كما أن هذا الفعل بثقل وقعه ، وجهارة صوته ، نهض بتصوير فداحة الألم ، وضراوة العذاب الذي يرزح فيه هؤلاء القوم في دقة وبراعة ، ((وتكمن قدرة الألفاظ على التصوير في أن لكل لفظ إلى جانب دلالته اللغوية دلالة أخرى شعورية فيما يوحي به اللفظ من الصور والظلال وما يبثه من موسيقى خاصة وإيقاع متميز))[١] .

وعن سر تخصيص الوجوه والصدور بالخمش في هذا السياق فقد فسره الإمام الطيبي بقوله : ((ولما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري من أعراض المسلمين ؛ إشعارًا بأنهما ليسا من صفات الرجال ، بل هما من صفات النساء في أقبح حالة ، وأشوه صورة))[٢] ، بينما فَسَّر (ابن رسلان) السر بالاعتماد على سياق الحديث ، فجَعَل محل الخمش انعكاسًا لصورة أكل لحم الإنسان الواردة في إجابة سيدنا جبريل عليه السلام بعد ذلك ، فيقول ابن رسلان : ((فوجوههم مواضع الأكل ، وصدورهم تقابل مواضع استقرار اللحم المأكول ، فإن البطون هي الصدور))[٣] ، ويحتمل بأن يكون الجزاء من جنس العمل فلما شوهوا صور الناس بالإساءة إلى أعراضهم ، قاموا هم بأنفسهم بتشويه وجوههم وصدورهم حتى يكونوا الأقبح والأشنع بين الأشهاد .

ولا يملك الرسول ﷺ إزاء هذا المشهد سوى السؤال عن الذنب الذي أودى بهؤلاء إلى هذه الصورة المهولة والمرعبة .

ومن ثم كان السؤال بقوله : ((فقلت من هؤلاء يا جبريل؟))

وهذا السؤال مع أنه يدلل على منطقية تسلسل أحداث المشهد ، إلا أنه من ناحية أخرى يلبي

---

[١] أسلوب الدعوة القرآنية ، بلاغة ومنهاجًا ، د/ عبد الغني محمد سعد بركة ، ص ٣٢ ، مكتبة وهبة، ط١ ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .

[٢] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، ج ١٠ ، ص ٣٢١٧ .

[٣] شرح سنن أبي داود ، لابن رسلان ، ج ١٨ ، ص ٦٠٦ .

حاجة نفسية لدى السامع ، الذي استبد به الشوق للإحاطة بالجرم المرتكب ، وهذا ما يدلل على ذروة التفاعل من المتلقي في أحداث القصة ، ويدلل كذلك على عمق أثر عَرض الحدث السابق عليه .

والمتأمل في صياغة السؤال الوارد من رسول الله ﷺ يجد أنها قد احتشدت بما يدل على سرعة الطلب ، ولهفة الاستفسار ، بما يجعلها تتواكب مع خط سير الأحداث ، وتنسجم معها في براعة وإتقان ، فـ (الفاء) في قوله : (فقلت) تكشف عن السرعة في السؤال ، والعجلة في الطلب ، والاستفهام (من هؤلاء...؟)استفهام حقيقي مشوبٌ بالتعجب والاستبشاع لحالهم ، واسم الإشارة (هؤلاء) يمعن في تحديدهم وتعيينهم بما يدل على أنهم بؤرة الاهتمام ، وأن معرفة حالهم وذنبهم هو مركز الحوار ، ولب السؤال ، ونداء سيدنا جبريل (يا جبريل) وإن كان يدلل على شدة القرب والألفة بينه وبين الرسول ﷺ ، إلا أنه يمعن في تحديد المسئول ، وتعيينه في الكلام ، بما في ذلك من حثٍ له على سرعة الإجابة باعتباره المنوط به التوضيح والتفسير في هذا الموقف .

ولذا يبادر سيدنا جبريل عليه السلام بالإجابة قائلا : ((هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم)) .

تأتي هذه الإجابة بالمشهد الأخير من القصة ، إذ تجيب عن السؤال السابق ، إجابةً تكشف عن صفات الأشخاص المعذبين ، وتبين الجرم المرتكب منهم الذي ترتب عليه تعذيبهم في شناعة وبشاعة ، ومن ثم فإنها تشتمل على حدثٍ يفسر الحدث الأول ، ويوضح أسبابه بما يجعل القصة تكتمل ، محققة باكتمالها المغزى من سوقها ؛ وهو الترهيب من الغيبة ، والخوض في أعراض الناس .

وعنصرا الزمان والمكان الكائنان في الحدث السابق يعززان من هذا المغزى في وضوح وقوة ، فالحدث الذي يسوقه سيدنا جبريل عليه السلام ارتداد إلى الوراء ، يكشف عن أحوال الشخصيات في حياتها الدنيا عندما كانت تمارس الغيبة ، وتستسيغ الوقوع في الأعراض ، دون وازعٍ من ضمير ، أو رادعٍ من دين ، وهو ما يعمق ويؤكد معاني الرهبة والخوف داخل نفس المتلقي .

وعندما نقترب من أسلوب الإجابة ، ونتأمل دلالات تركيبها نجد أنها قد بلغت الغاية في الوضوح والإبانة ، فقد ابتدأت بذكر المسند إليه (هؤلاء) وحقه الحذف لتقدم ذكره في سؤال الرسول ﷺ وذلك لزيادة تقرير حدوث المسند الآتي من المسند إليه ، وتأكيد نسبته إليهم ، وحصوله منهم على وجه اليقين والثبوت ، ويأتي التعبير بالاسم الموصول (الذين) ليضاعف من التقرير السابق ، وليؤكد رسوخ قدمهم فيما يأتي من وصف ، وشدة التصاقه بهم .

وهذا التصدير بالتعريف المركز المتتابع . المكون من الإشارة والصلة . في بداية كلام جبريل

ﷺ يتناسب مع شهرة هؤلاء المعذبين بما سينعتون به من وصف لاحق جاء في ثوب الصلة للاسم الموصول ، مما أدى في النهاية إلى تمييز هؤلاء الأشخاص بصفاتهم أكمل تمييز .

كما أن التعريف المكثف في هذا السياق يمتلئ بمعاني الاستهجان والاشمئزاز من صنيعهم الرديء ، وخلقهم الذميم مما جعلهم يستحقون التشهير تبكيتًا ، وتنديمًا لهم ، وتجئ جملة الصلة (يأكلون لحوم الناس) لتفصح عن جرمهم المؤدي لعذابهم ، إذ كانوا يغتابون الناس ويتناولون أعراضهم ، وقد سلك التعبير هنا مسلك الاستعارة التمثيلية ، إذ شُبهت هيئة من يغتاب الناس ويخوض في أعراضهم ، بهيئة من يأكل لحوم الناس بجامع الهيئة الحاصلة من ممارسة شيء قبيح منفر .

وهي صورة تنهض برسم صورة مقززة للمغتاب الذي يذكر الناس بما يكرهون ، ويتناول أعراضهم إذ تظهره في صورة من يأكل لحوم الناس ويقضم منها في شراسةٍ وشراهة .

كما ترفضها الطباع السليمة ، وتأباها النفوس المستقيمة ، إذ قد تجاوزت كل خطوط الإنسانية القائمة على الود والصيانة والحفظ ، والحرص على سلامة الأخ مما يضره ، أو يؤذيه ، أو ينتقص منه ، فما بالنا وقد أمسى هذا الإنسان يأكل لحوم الناس وينهش منها في ضراوة وبشاعة ، وجرأة وتبجح ، ليشبع شهوته القميئة ، ويرضي غريزته الدنيئة.

كما أن أكل لحوم الناس تستحضر للذهن معاني القضم والنهش والمضغ والبلع ، والاستقرار في البطن ، وكلها صفات تنعكس على صورة المغتاب للناس ، والمتناول لأعراضهم ،وتظهره في صورة حيوانية تستعذب الشيء المحرم ، وتقبل على الشيء القبيح المستكره ، في شهوة وانتشاء ، وما ذلك إلا لخبث نفسه ، وفساد طويته ، وانعدام مروءته ، ورعونته ، فَهَمَّ بفعل ما لا يفعله الإنسان السوي الملتزم بهدى الله ، وسنة نبيه ، وتجرأ على ارتكاب الغيبة بما لها من أثر سيئ في هدم بنيان المجتمع ، وإفشاء الكره والبغض بين أبنائه .

هذا وقد جعل صاحب كتاب دليل الفالحين الاستعارة هنا من باب الاستعارة التصريحية التبعية ثم أجراها قائلا : ((شبهت الغيبة يأكل اللحم بجامع التلذذ بكل فاستعير أكل اللحم للغيبة ثم سرت منه للفعل))[1] .

وأعتقد أن هذا التوصيف وما ترتب عليه من إجراء للاستعارة مجانب للصواب من ناحيتين :

الأولى : أنه جعل المشبه به (المستعار) (أكل اللحم) على إطلاقه ، وليس هذا ما جاء في الحديث ، إذ جاء اللحم مقيدًا بنسبته إلى الناس .

الأخرى : أنه جعل الجامع التلذذ ، وهو جامع مجانب للصواب أيضًا ، وهو ناتج عن الخطأ

---

[1] كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ج ٨ ، ص ١٥.

السابق الذي جعل اللحم عامًا دون نسبته إلى الناس .

إن المضاف إليه المنصوص عليه صراحة في الحديث (الناس) ، يجعل التركيب الإضافي بأكمله (لحوم الناس) مقصودًا في المعنى ، ولذا فإن هذه القصدية تدفعنا إلى أن نجعله كذلك نُصْبَ أعيننا في فهم الاستعارة وإجرائها دون أن ننحيه جانبًا ، ومن ثم يجب أن يدخل في المستعار فنجعله أكل لحوم البشر دون الاقتصار على أكل اللحوم فقط ، ويترتب على ذلك استحالة أن يكون الوجه هو التلذذ لأن الآكل للحوم الناس لا يشعر بالتلذذ ولا الانتشاء ، وإنما يشعر بالنفور والكراهة والخروج من الفطرة السليمة ، ولذا كان إجراء الاستعارة على سبيل التمثيل هو الأبلغ والمناسب للمعنى الهادف إلى تصوير إقدام هؤلاء على هذا الفعل الشنيع المستكره كراهة أكل الإنسان للحم أخيه الإنسان ، وذلك كما تم توضيحه قبل قليل .

وتأتي جملة : (ويقعون في أعراضهم) معطوفة على الجملة السابقة لتؤكد مضمونها في التنفير من الغيبة والتحذير منها ، معتمدة في هذا التأكيد على الاستعارة المكنية إذ شبهت ((الأعراض بوهدة من شأن المار الوقوع فيها إلا من احترز فالتشبيه المضمر في النفس استعارة مكنية))[١] .

وهي استعارة تبرز الأعراض في صورة الهاوية التي ينبغي أن يحترز من الاقتراب منها حتى لا تنزلق الأقدام ، فيردى الإنسان ويهلك في قاعها السحيق .

هذا والتعبير بالمضارع (يأكلون) ، و(يقعون) خروج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، إذ الأصل التعبير بالماضي ، لأن سيدنا جبريل عليه السلام يقص ما كان منهم من ذنب في حياتهم الدنيا ، وهم ليسوا في دار العمل ، وهذا العدول يستحضر صورتهم وهم يقومون باغتياب الناس ويقعون في أعراضهم ، ويقرن هذا الفعل بهم ، وكأنهم ما زالوا يقومون به ، إمعانًا في التأكيد على استحقاقهم هذا العذاب .

كما أن التعبير بالمضارع يبعث الاستمرارية والتجدد في حدوث الفعل ، وهو ما يثير المتلقي للاحتراز من هذا الفعل ، والوقاية منه ، بعد أن انطبع قبلا . في ذهنه . العذاب المترتب عليه .

على أنَّ الوقوع في الأعراض . (ويقعون في أعراضهم) . قد تنوع معناه في المعاجم اللغوية ما بين (الغيبة فقط) ، وما بين (السب والاغتياب والعيب)[٢] ، فالمعنى الأول الضيق يكاد يكون حِكرًا

---

[١] الفتوحات الربانية على الأذكار النبوية ، تأليف محمد على بن محمد علاء البكري الصديقي الشافعي ، ج ٦ ، ص ٣٩١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون .

[٢] على أن هذين المعنيين يتداخلان ويجتمعان من وجه ، ويتباعدان ويتنافران من وجه آخر ، فالشتم والعيب يدخلان في الغيبة إذا تم ذلك في غيبة الإنسان المُساء إليه ، فالغيبة ذكر الإنسان في غيبته بسوء ، والشتم والعيب مساوئ تنال الإنسان في غيابه ، ويخرجان من الغيبة إذا كان ذلك في حضور الشخص

على المعاجم القديمة[١] ، بينما يجتمع المعنيان معًا في المعاجم الحديثة[٢] .

فعلى كون المقصود المعنى الأول (الغيبة) فإن العطف بين الجملتين (يغتابون الناس) و(يقعون في أعراضهم) بالواو يكون من باب عطف المؤَكِّد على المُؤكَّد ، إذ الثانية تأكيد للأولى ((وخروج البيان عما هو مقتضى الظاهر في عطف المؤكِّد على المؤكَّد غير قليل في بيان الوحي وبيان الإبداع))[٣] ، ورغم الاتحاد في المعنى العام بين الجملتين وهو (تقبيح صورة الغيبة) بما أتاحه لنا من جعل العطف من باب عطف المؤكِّد على المؤكَّد ؛ إلا أن هذا المعنى في ذاته . مع ذلك . قد عُرض في صورتين مختلفتين بما تشع به كل صورة من ظلال مختلفة له ، فسلطت كل صورة منهما الضوء على جانب خاص من جوانبه ، بما يأذن به الاختلاف من ترسيخ أقدام الواو . التي تفيد المغايرة . في هذا الموطن ، فالصورة الأولى : (يأكلون لحوم الناس) ركَزَّت على الكراهة والاشمئزاز بأكل لحوم الناس ، والصورة الثانية : (ويقعون في أعراضهم) رَكَزَّت على الخطورة والضرر بإظهار الغيبة في صورة مهوى عميق يجب أن يحترز منه ويبتعد عنه ، كما أن وجود الواو بين هاتين الصورتين المتحدتين في المعنى العام والمختلفتين في بعض منعطفاته بأثر اختلاف التشكيل والظلال فيهما ، قد أضفى عليهما قوة تتناسب مع قوة التعريف بهم في صدر كلام سيدنا جبريل عليه السلام من خلال الإشارة والاسم الموصول ، وهو ما يتواءم مع قوة العذاب وشدته الذي عرض قبل ذلك في كلامه ﷺ ، وكل هذا مما عاد على حبك الحديث وسبكه، فكانا أشد تناسبًا ، وأحكم بناءً .

وعلى كون المقصود المعنى الثاني : (السب والاغتياب والعيب) يكون العطف بين الجملتين من باب عطف العام على الخاص[٤] ، وذلك لإفادة الترقي في إثبات تعدد الجرم المرتكب منهم ،

المساء إليه ، وفي حال تمت المواجهة بالسب والعيب .

[١] ففي الصّحاح للجوهري : (الوقيعة في الناس : الغيبة) ، وفي أساس البلاغة للزمخشري : (ومن المجاز وقع فيه : اغتابه) ، وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي : (والوقيعة : غيبة الناس) ، وفي لسان العرب لابن منظور : (والوقيعة في الناس : أي اغتيابهم وقوعًا ووقيعةً ، وقيل : هو أن يذكر في الإنسان ما ليس فيه ، ومنه الحديث : "ذهب رجل ليقع في خالد" أي : يذمَّه وَيعِيبَه ويَغْتَابَه).

[٢] ففي المعجم الوسيط . وكذلك في المعجم الوجيز . : (وقع فلان في فلان وقيعةً ووقوعًا) : سَبَّه ، واغتابَهُ ، وعابَهُ) ، (والوقيعة : غِيبَة الناس) ، (والوَقَّاعُ : الذي يغتابُ الناس) .

[٣] الكلمة نور ، محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم للدكتور / محمد أبو موسى ، تأليف د / محمود توفيق محمد سعد ، ص ١٠٢ ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ٢٠١٧م .

[٤] ينظر ، الواو ومواقعها في النظم القرآني ، د/ محمد الأمين الخضري ، ص ٤٨٧ ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م .

بما يتواءم مع شدة العذاب النازل بهم ، فانتقل بهم من الخاص إلى العام ، إمعانًا في تأكيد تنوع إثمهم، وتعدد معاصيهم.

والناظر في تفسيري الإمام (الطيبي) ، و (ابن رسلان) السابقين لسر الجمع بين الوجوه والصدور في العذاب ، يجد أنهما قد اختارا المعنى الأول (الغيبة) نزولا بذلك على المعنى المتواتر . الغالب . في المعاجم اللغوية القديمة .

و تنتهي هذه القصة التي نقل فيها الرسول ﷺ مشهدًا مفزعًا . رآه في رحلة المعراج . لعذاب من يقومون بالغيبة ، والوقيعة في الأعراض ، بما يُرَهِّب المتلقي ، ويدفعه إلى النفور من هذا السلوك الذميم ، والابتعاد عنه بكل ما أوتى من قوة ، وقد اعتمدت القصة في تشكيلها على عددٍ من الأساليب ، والأدوات الفنية كان من أهمها الصورة الواقعية المخيفة ، والتقديم ، والاستفهام ، والإشارة ، والألفاظ الدالة ، والموصول ، والاستعارة ، مما عاد على المعنى في النهاية فكان أشد رسوخًا وتمكنًا لدى المتلقي .

الخـاتمـــة

تتلخص أهم نتائج الدراسة فيما يأتي :

١. تعددت طرق عرض معنى الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي بين التقرير ، والحوار الذي تنوع إلى الحوار المطلق ، والحوار المقترن بالإشارة ، والحوار المقترن باستثمار الفرص الملائمة ، ثم طريق القصة ، وكان أكثر هذه الطرق بروزًا هو طريق التقرير الذ نفذ بالمعنى مباشرة إلى ذهن السامع فكان أشد رسوخًا وتثبتًا به ، ثم تلاه طريق الحوار الذي استقطب المتلقي بما فيه تشويق وترقب ، ثم جاءت القصة أخيرًا والتي كان لها الوقع الأكبر في تحقيق استمالة المتلقي ، وتعميق المعنى داخله .

٢. تنوعت الأساليب التي عبرت عن معنى الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي . والتي اندرجت تحت الطرق السابقة . بين الخبرية والإنشائية ، والحقيقية والمجازية ، وكانت الإنشائية أكثر في الظهور . نسبيا . من الخبرية وذلك يعكس الاحتشاد للمعنى ، والاحتفال بالتعبير عنه، كما تفوقت الحقيقية على المجازية في عدد مرات الظهور بما يتوافق مع الترهيب الذي يستلزم عرض المعاني بحقائقها وواقعيتها الكاشفة عن تحديد الذنب ، وما يترتب عليه من هلاك وخسران .

٣. كانت أساليب الاستفهام ، والتقديم ، والشرط ، والنداء ، والتأكيد ، والنهي ، والتفضيل ، من أكثر الأساليب ظهورًا في أحاديث الدراسة ، وكان لكل أسلوب منها بلاغته الذاتية التي انعكست على المعنى فجعلته أشد تأكيدًا ووضوحا .

٤. اندمجت الطرق مع الأساليب مكونة بهذا الاندماج بؤرة اشعاع ، ومركز توهج ، استقطب المتلقي ، وجعل المعنى يترسخ داخله على أتم ما يكون الترسخ .

٥. أن التنويع في طرق وأساليب العرض قد لبى حاجات جميع المتلقين، ونهض باستيعابهم على اختلاف نفوسهم ، وتنوع استعداداتهم ، مما أدى في النهاية إلى شمولية التأثير ، وعمومية الإقرار بضراوة الغيبة والنميمة وخطورة مسلكهما .

٦. ظهر من خلال النظر في الطرق والأساليب الواردة في الدراسة ، أنها قد بلغت الغاية القصوى . ببراعتها الفنية ، وقوتها التأثيرية . في تنفير المتلقي وترهيبه من الغيبة والنميمة ، وأن هذا التنويع في الطرق والأساليب مصدره حرص الرسول ﷺ على سلامة أمته ، ونجاتها من مخاطر هذين الذنبين ، فنوع في طرق وأساليب عرضه ليجعل من يقتنع بطريق أو أسلوب يزداد اقتناعًا بغيره حتى تصل القناعة إلى ذروة الرفض والإنكار .

٧. اتسم طريق الحوار بالتنويع في طرق عرضه بين الحوار المطلق ، والحوار المقترن بالإشارة ، والمقترن باستثمار الفرص الملائمة ، وكان لكل منها تأثيره الخاص في الترهيب من الغيبة والنميمة

بما يتسق مع طبيعته الفنية ، وتأثيره الذاتي .

٨. اتسم طريق القصة باستحضار صورة العذاب القائمة في عالم الغيب بمن نم واغتاب ، ونقلها بهولها وفظاعتها ، إمعانا في الترهيب والتحذير .

٩. كان التشويق أداة رئيسة وبارزة في طرق وأساليب الدراسة جميعها، وكان له الأثر الفاعل في جذب المتلقي نحو المعنى المطروح ، وتمكينه لديه .

١٠. كان تقديم الجزاء على العمل قاسمًا مشتركًا ظهر في معظم طرق وأساليب الترهيب من الغيبة والنميمة في الأحاديث الواردة في الدراسة ، وقد أدى هذا التقديم دوره البارز في استثارة المتلقي ، وتحفيزه مما عاد على المعنى فكان أشد تمكنًا في ذهنه ، إذ إن تقديم ما يخاف منه ، وما يُذَمُ ، وجعله في صدارة الكلام يجعل النفس تسارع إلى تجنب ما يُسبب هذا العذاب ، والابتعاد عن هذا العمل المذموم .

***

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : الكتب :

١. أثر السياق في اصطفاء التعبير بالسعي والمشي في النظم القرآني ، أ.د / أحمد السيد طلحة ، الفقي للطباعة والنشر ، ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م .

٢- أساس البلاغة ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م .

٣- أساليب النفي في القرآن الكريم ، د. أحمد ماهر البقري، دار المعارف ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥ م .

٤- الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية ، إعداد د/ عبد العزيز بن صالح العمار ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .

٥. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الإيمان ، بدون .

٦. أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهاجًا ، د/ عبد الغني محمد سعد بركة ، مكتبة وهبه ، ط ١،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

٧. أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د/ عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .

٨. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، مكتبة مصر ، بدون .

٩. بذل المجهود في حَل سنن أبي داود ، للإمام المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، اعتنى به وعلق عليه ، أ.د / تقي الدين الندوي ، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية ، الهند ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م .

١٠. بلاغة الأداء في البيان النبوي ، ا.د. محمد علي فرغلي الشافعي ، مطبعة الشروق بالراهبين ، ط١ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .

١١. البلاغة النبوية ، د/ محمد رحب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي ، تحقيق مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ، بدون .

١٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، مراجعة وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون .

١٤. تحولات البنية في البلاغة العربية ، د/ أسامة محمد البحيري ، تقديم د/ محمد عبد المطلب ، مكتبة النابغة .

١٥ـ التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه ، د . بسيوني عبد الفتاح فيود ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .
١٦. الجملة في الشعر العربي ، د/ محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م
١٧- جنى البديع ، دراسة تحليلية لمسائل البديع ، د/ سحر المعنا ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٣١هـ. ٢٠٢٠م .
١٨- الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق د/ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .
١٩- الحديث النبوي ، رؤية فنية جمالية ، د/ صابر عبد الدايم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ٢٠١٩م
٢٠- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، د/ عز الدين على السيد ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ. ١٩٧٣م .
٢١- الخصائص الفنية في الأدب النبوي ، د/ محمد بن سعد الدبل ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، سلسلة نشر الرسائل الجامعية العليا ، بدون.
٢٢- دراسات منهجية في علم البديع ، د/ الشحات محمد أبو ستيت ، ط١ ، ١٩٩٤م .
٢٣- دراسة نقدية وبلاغية ، ا.د/ الوصيف هلال الوصيف ، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م .
٢٤- دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق ، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط ٥ ، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٤ م .
٢٥- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، تأليف العلامة محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي ، ج٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون .
٢٦- سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١٤١٦،١هـ - ١٩٩٦م .
٢٧- سنن الترمذي الجامع الكبير ، تحقيق ودراسة ، مركز البحوث وتقنية المعلومات ، دار التأصيل ، ط١ ، ١٤٣٥هـ. ٢٠١٤م .
٢٨- شرح سنن أبي داود لابن رسلان ، تصنيف شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان الشافعي ، تحقيق عبد التواب بدوي عبد السلام ، محمود عبد التواب جمعه ، دار الفلاح للبحث العلمي ، وتحقيق التراث ، ط١ ، ١٤٣٧هـ. ٢٠١٦م .
٢٩- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، المسمى بالكاشف عن حقائق السنن ، للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي ، تحقيق ودراسة د/ عبد الحميد هنداوي ، ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط١ ، ١٤١٧هـ. ١٩٩٧م .

٣٠- الصِّحاح تاج اللغةِ وصِحاح العربية ، تأليف : أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، مراجعة د/ محمد محمد تامر ، أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، سنة الطبع ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .

٣١- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من النميمة ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .

٣٢- صحيح مُسْلِم للإمام أبي الحُسين بن الحَجّاج القُشَيري النّيسابُوري، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ -١٩٩١م .

٣٣- صحيح مسلم بشرح النووي ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٣٤- العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال ، د/ محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م .

٣٥- عضوية الحوار في العمل القصصي ، د/ عبد اللطيف محمد الحديدي ، بدون .

٣٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، تأليف الإمام بد الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ، ضبط وتصحيح علي عبد الله محمود عمر ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م .

٣٧- عون المعبود على شرح سنن أبي داود ، تأليف العلامة أبي عبد الرحمن شرف الحق العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي ، مراجعة وتدقيق محمد ناصر الدين الألباني ، دار ابن حزم ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .

٣٨- فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، دار الرسالة العلمية ، ط ١ ، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م .

٣٩- الفتوحات الربانية على الأذكار النبوية ، تأليف محمد على بن محمد علاء البكري الصديقي الشافعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان .

٤٠- فن الإقناع ، هاري ميلز ، مكتبة جرير ، ط١ ، ٢٠١٤ م.

٤١- فن التحدث والإقناع ، تأليف : وليم . ج . ماكولاف ، ترجمة وفيق مازن ، دار المعارف ، ط ٤ .

٤٢- في صحبة النص ، مختارات ودراسات د/ طارق شلبي ، دار البراق ، القاهرة ، بدون.

٤٣- في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٤م .

٤٤- القاموس المحيط للفيروز أبادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م .

٤٥- قراءة في الأدب القديم ، د/ محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط٢ ، ١٩٩٨م .

٤٦- القصة القصيرة في العالم العربي ، ظواهر بنائية ودلالية ، د/ حميد لحمداني ، مطبعة آنفو برانت ، ط١ ، ٢٠١٥م .

٤٧- القصص في الحديث النبوي ، دراسة فنية وموضوعية ، د/ محمد بن حسن الزير ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .
٤٨- الكلمة نور ، محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم لشيخنا / محمد أبي موسى ، تأليف د / محمود توفيق محمد سعد ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ٢٠١٧م .
٤٩- لسان العرب ، دار المعارف ، بدون .
٥٠- مدخل إلى النقد الأدبي الحديث ، د/ شلتاغ عبود شراد ، دار مجدلاوي، ط١ ، ٢٠١٠ . ٢٠١١م .
٥١- مرقاة المفاتيح ، شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري ، تحقيق الشيخ جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .
٥٢- معجم التعريفات للعلامة على بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق ودراسة ، محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، بدون .
٥٣- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م .
٥٤- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، ط٤، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .
٥٥- مناهج النقد البلاغي ، قراءة وتطبيقات ، د/ رحمن غركان ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٦م . ١٤٣٧هـ .
٥٦- من روائع البيان النبوي دراسة أدبية تحليلية ، د/ مصطفى عبد الواحد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .
٥٧- من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف ، د/ فتحية محمود فرج العقدة ، مطبعة الأمانة ، ط١ ، ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م .
٥٨- الواو ومواقعها في النظم القرآني ، د/ محمد الأمين الخضري ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م .

ثانيًا : الرسائل العلمية :

١. دال البحر في شعر محمود درويش ، مها داود محمود أحمد ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠١١م .
٢- لغة الجسد في القرآن الكريم ، أسامة جميل ربابعة ، رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠١٠م.
٣- وسائل الإيضاح المادية في الحديث النبوي الشريف جمعًا وترتيبًا ودراسةً ، هنادة محمد القاضي ، رسالة ماجستير، بكلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠١ م .

ثالثًا : المجلات :

١. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الثانية والعشرون ، الكويت، ١٤٢٢. ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠١ . ٢٠٠٢م .

٢. مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، العدد (٢٦) ، يونيه ٢٠١٢م .

رابعًا : الشبكة الدولية للمعلومات :

www . google . com

Index of sources and references

The Holy Quran

First: Books:

١- The effect of context in selecting the expression by seeking and walking in the Qur'anic systems, Prof. Dr. Ahmed Al-Sayed Talha, Al-Fiqi for printing and publishing, ١٤٣٦ AH ٢٠١٥ AD.

٢- Basis al-Balaghah, written by Abi al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar bin Ahmed al-Zamakhshari, edited by Muhammad Basil Uyun al-Soud, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, ١st Edition, ١٤١٩ AH ١٩٩٨ AD.

٣- Methods of negation in the Holy Qur'an, d. Ahmed Maher Al-Baqri, House of Knowledge, ١٤٠٥ AH-١٩٨٥ AD.

٤- The Interrogation in the two Sahihs, its structural characteristics and rhetorical meanings, prepared by Dr. Abdul Aziz bin Saleh Al-Ammar, Imam Muhammad bin Saud University, ١st Edition, ١٤٣٠ AH ٢٠٠٩ AD.

٥- Asrar al-Balaghah, Abd al-Qaher al-Jarjani, explanation and commentary by Dr. Muhammad Abd al-Moneim Khafaji, Faith Library, without.

٦- The Qur'anic Call in Rhetoric and Methodology, Dr. Abdul-Ghani Muhammad Saad Baraka, Wahba Library, ed. ١,١٤٠٣ AH-١٩٨٣ CE.

٧- Dialogue in the Noble Qur'an, Dr. Abdel Halim Hefni, Egyptian General Book Authority, ١٩٩٥.

٨- The Miracles of the Qur'an and the Prophetic Rhetoric, Mustafa Sadiq al-Rafi'i, Library of Egypt, without.

٩- Exerting effort in the solution of Sunan Abi Dawood, by the great modernist Imam Sheikh Khalil Ahmad Al-Saharnfori, he looked after and commented on it, Prof. Dr. Taqi Al-Din Al-Nadwi, Sheikh Abi Al-Hassan Al-Nadwi Center for Research and Islamic Studies, India, Edition ١, ١٤٢٧ AH - ٢٠٠٦ AD.

١٠- Rhetoric of performance in the prophetic statement, Prof. Muhammad Ali Farghali Al-Shafi'i, Al-Shorouk bi-monk Press, ١st Edition, ١٤٢٦ AH ٢٠٠٥ AD.

١١- The Prophetic Rhetoric, Dr. Muhammad Rahb Al-Bayoumi, The Egyptian Lebanese House, ١st Edition, ١٤٢٩ AH - ٢٠٠٨ AD.

١٢- Crown of Al-Arous from Al-Qamous Jewels, by Mr. Muhammad Mortada Al-Hussaini Al-Zubaidi, edited by Mustafa Hijazi, Kuwait Government Press, Without .

١٣- Tuhfat Al-Ahwzi, explained by Jami` Al-Tirmidhi, by Imam Al-Hafiz

Abi Al-Ali Muhammad Abd Al-Rahman Bin Abdul Rahim Al-Mubarakfoury, revision and correction of Abdul-Wahab Abdul-Latif, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, without.

١٤- Structural Shifts in Arabic Rhetoric, Dr. Osama Muhammad Al-Buhairi, presented by Dr. Muhammad Abdul-Muttalib, Al-Nabigha Library.

١٥- The suspense of the prophetic hadith, its methods and purposes, d. Bassiouni Abdel-Fattah Fayoud, Al-Hussein Islamic Press, ١st Edition, ١٤١٤ AH -١٩٩٣ AD.

١٦- The sentence in Arabic poetry, Dr. Muhammad Hamsa Abd al-Latif, Dar Gharib for printing and publishing, ٢٠٠٦ AD.

١٧- Jana Al-Badi ', An Analytical Study of Al-Badi' Issues, Dr. Sahar Al-Maana, Dar Al-Zahraa for Publishing and Distribution, ١st Edition, ١٤٣١ AH - ٢٠٢٠ AD.

١٨- Al-Jana in the Literature of Al-Maani, Al-Hassan Bin Qassem Al-Mouradi, edited by Dr. Muhammad Nadim Fadel, Dar Al-Kotob Al-Alami, Beirut, Lebanon, ١st ed., ١٤١٣ AH - ١٩٩٢ AD.

١٩- The Prophet's Hadith, An Aesthetic Artistic View, Dr. Saber Abdel Dayem, Egyptian General Book Authority, ٢nd Edition, ٢٠١٩ AD.

٢٠- The Prophetic hadith from the rhetorical point of view, Dr. Ezz Al-Din Ali Al-Sayyed, The Muhammadiyah Printing House in Al-Azhar, Cairo, ١٣٩٣ AH ١٩٧٣ AD

٢١- Technical Characteristics in the Prophetic Literature, Dr. Muhammad bin Saad Al-Dabal, Imam Muhammad bin Saud University, Postgraduate University Theses Publishing Series, without.

٢٢- Systematic Studies in Badi Science, Dr. Al-Shahat Muhammad Abu State, Edition ١, ١٩٩٤ AD.

٢٣- A critical and rhetorical study, Prof. Dr. Al-Wasif Hilal Al-Wasif, ١٤١٣ AH - ١٩٩٣ AD.

٢٤- Evidence of Miracles, Imam Abdul-Qaher Al-Jarjani, Reading and Commentary, Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Khanji Library, ٥th Edition, ١٤٢٤ AH ٢٠٠٤ AD.

٢٥- The Peasant’s Guide to the Paths of Riyad Al-Salihin, written by the scholar Muhammad bin Allan Al-Siddiqi Al-Shafi’i Al-Ash’ari Al-Makki, vol. ٨, Dar Al-Kitaab Al-Arabi, Beirut, without.

٢٦- Sunan Abi Dawood, by Imam Al-Hafiz Abi Dawood Suleiman bin Al-Ash'ath Al-Sijistani, edited by: Muhammad Abdul-Aziz Al-Khaldi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Edition ١,١٤١٦ AH - ١٩٩٦ AD.

٢٧- Sunan al-Tirmidhi, the Great Mosque, investigation and study, Center for Research and Information Technology, Dar Al-Taseel, ١st Edition, ١٤٣٥ AH ٢٠١٤ AD.

٢٨- Explanation of Sunan Abi Dawood by Ibn Raslan, Classification of Shihab al-Din Abi Al-Abbas Ahmed bin Hussein bin Ali bin Raslan Al-Shafi'i, Editing by Abd al-Tawab Badawi Abd al-Salam, Mahmoud Abd al-Tawab Jum'a, Dar Al-Falah for Scientific Research and Heritage Verification, Edition ١, ١٤٣٧ AH - ٢٠١٦ AD.
٢٩- Al-Tibi explained on the lamp lamp, called the detector of the facts of the Sunnah, by Imam Sharaf al-Din al-Hussein bin Abdullah bin Muhammad al-Tibi, investigation and study of Dr. Abdul Hamid Hindawi, Nizar Mustafa Al-Baz Library, ١st Edition, ١٤١٧ AH - ١٩٩٧ AD.
٣٠- Al-Sahih, Taj Al-Linguistics and Sahih Al-Arabia, authored by: Abi Nasr Ismail bin Hammad Al-Gohary, revised by Dr. Muhammad Muhammad Tamer, Anas Muhammad Al-Shami, Zakaria Jaber Ahmed, Dar Al-Hadith, year of publication ١٤٣٠ AH ٢٠٠٩ AD.
٣١- Sahih Al-Bukhari by Imam Abu Abdullah Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, Kitab al-Adab, Chapter of What he Dislikes of Gossip, Ibn Katheer House for Printing, Publishing and Distribution, ١st Edition, ١٤٢٣ AH - ٢٠٠٢ AD.
٣٢- Sahih Muslim by Imam Abu Al-Hussain bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Nisaburi, investigation and commentary by: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, ١st Edition, ١٤١٢ AH -١٩٩١ AD.
٣٣- Sahih Muslim, Sharh Al-Nawawi, Cordoba Foundation for Printing, Publishing and Distribution, ١st Edition ١٤١٢ AH - ١٩٩١ AD.
٣٤- Phrase and Sign: Study in Communication Theory, Dr. Muhammad Al-Abd, Literature Library, Cairo, ٢nd Edition, ١٤٢٨ AH ٢٠٠٧ AD.
٣٥- The membership of the dialogue in fictional work, Dr. Abd al-Latif Muhammad al-Hadidi, without.
٣٦- Omdat al-Qari Sharh Sahih al-Bukhari, written by Imam Bid al-Din Abi Muhammad Mahmoud bin Ahmad al-Aini, corrected and corrected by Ali Abdullah Mahmoud Omar, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, ١st Edition, ١٤٢١ AH ٢٠٠١ AD.
٣٧- Aoun al-Ma'bood on Sharh Sunan Abi Dawood, authored by the scholar Abi Abd al-Rahman Sharaf al-Haq al-Azim Abadi Muhammad Ashraf bin Amir bin Ali bin Haider al-Siddiqi, revised and verified by Muhammad Nasir al-Din al-Albani, Dar Ibn Hazm, ١st Edition, ١٤٢٦ AH - ٢٠٠٥ AD.
٣٨- Fath Al-Bari, with the commentary of Sahih Al-Bukhari, by Ibn Hajar Al-Asqalani, Dar Al-Risalah Al-Ilmiyya, ١st Edition, ١٤٣٤ AH ٢٠١٣ AD.
٣٩- The Divine Conquests on the Prophetic Remembrance, written by Muhammad Ali bin Muhammad Alaa al-Bakri al-Siddiqi al-Shafi'i, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, Lebanon.
٤٠- The Art of Persuasion, Harry Mills, Jarir Bookstore, ١st Edition ٢٠١٤

AD.
٤١- The Art of Speaking and Persuasion by: William. C. McCullough, translated by Wafik Mazen, Dar Al Maaref, ٤th Edition.
٤٢- In the companionship of the text, Dr. Tarek Shalaby's anthology and studies, Dar Al-Buraq, Cairo, without.
٤٣- In Arabic Grammar, Criticism and Guidance, Mahdi Makhzoumi, Modern Library, Beirut, ١st Edition, ١٩٦٤ AD.
٤٤- Al-Qamos Al Muheet by Fayrouz Abadi, The Egyptian General Book Authority, ١٣٩٩ AH - ١٩٧٩ AD.
٤٥- Reading in Ancient Literature, Dr. Muhammad Abu Musa, Wahba Library, ٢nd Edition, ١٩٩٨ AD.
٤٦- The Short Story in the Arab World, Structural and Semantic Phenomena, Dr. Hamid Lahhamdani, Info Brant Press, ١st Edition, ٢٠١٥ AD.
٤٧- The Stories in the Prophetic Hadith, an artistic and objective study, Dr. Muhammad bin Hassan Al-Zeer, ٣rd Edition, ١٤٠٥ AH - ١٩٨٥ AD.
٤٨- The word is Nour, systematic conversations in the book Sharh Hadiths from Sahih Muslim by our Sheikh / Muhammad Abi Musa, authored by Dr. Mahmoud Tawfiq Muhammad Saad, Wahba Library, ١st Edition, ٢٠١٧ AD.
٤٩- Lisan Al Arab, Dar Al Maaref, without.
٥٠- An Introduction to Modern Literary Criticism, Dr. Shaltag Abboud Sharrad, Majdalawi House, ١st Edition, ٢٠١٠-٢٠١١.
٥١- Marqat Al-Muftah, Explanation of the Misbah Al-Misbah, by the scholar Sheikh Ali bin Sultan Muhammad Al-Qari, edited by Sheikh Jamal Itani, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, ١st Edition, ١٤٢٢ AH ٢٠٠١ AD.
٥٢- Glossary of definitions of the scholar Ali bin Muhammad al-Sayyid al-Sharif al-Jarjani, investigation and study, Muhammad Siddiq al-Minshawi, Dar al-Fadila, without.
٥٣- Al-Wajeez Dictionary, The Academy of the Arabic Language, Arab Republic of Egypt, ١٤١٩ AH ١٩٩٨ AD.
٥٤- Al-Waseet Lexicon, The Arabic Language Academy, Arab Republic of Egypt, ٤th Edition, ١٤٢٥ AH - ٢٠٠٤ AD.
٥٥- Rhetorical Criticism Methods, Reading and Applications, Dr. Rahman Gorkan, Dar Al-Radwan for Publishing and Distribution, Amman, ١st Edition, ٢٠١٦ AD - ١٤٣٧ AH.
٥٦- One of the masterpieces of the Prophet’s statement is an analytical literary study, Dr. Mustafa Abdel Wahid, Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, ١st Edition, ١٤٢٥ AH ٢٠٠٤ AD.
٥٧- Among the rhetorical and linguistic characteristics in the style of the noble prophetic hadith, Dr. Fathia Mahmoud Farag Al-Oqdah, Al-Amana

Press, ١st Edition, ١٤١٤ AH ١٩٩٣ AD.
٥٨- Al-Waw and its Sites in Quranic Systems, Dr. Muhammad Al-Amin Al-Khudary, Wahba Library, ١st Edition, ١٤٣٦ AH ٢٠١٥ AD.
Second: Scientific Theses:

١- Dal Al-Bahr in the Poetry of Mahmoud Darwish, Maha Daoud Mahmoud Ahmad, MA, An-Najah National University, Nablus, Palestine, ٢٠١١ AD.
٢- Body language in the Noble Qur'an, Osama Jamil Rababa, Master Thesis, College of Graduate Studies, An-Najah National University, Palestine, ٢٠١٠.
٣- Material Explanation Means in the Noble Prophetic Hadith in Collection, Arrangement and Study, Hanada Muhammad Al-Qadi, Master Thesis, College of Graduate Studies, University of Jordan, ٢٠٠١ AD.
Third: Magazines:

١- Annals of Arts and Social Sciences, Twenty-second Yearbook, Kuwait, ١٤٢٢-١٤٢٣ AH, ٢٠٠١-٢٠٠٢ AD.
٢- The Journal of Arab Studies, Faculty of Dar Al Uloom, Minia University, Issue (٢٦), June ٢٠١٢ AD.
Fourth: The International Information Network:

www . google . com

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمـــة .	٦
التمهيـد : إطلالة على عنوان الدراسة .	٩
المطلب الأول : المقصود بالطرق والأساليب .	٩
المطلب الآخر: المقصود بالغيبة والنميمة .	١٣
المبحث الأول : طريق التقرير وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .	١٦
أولًا : حديث (إن من أربى الربا ...) .	١٦
ثانيًا : حديث (يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه...) .	٢١
ثالثًا : حديث (لا يدخل الجنة قتات) .	٢٨
المبحث الثاني : طريق الحوار وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .	٣١
المطلب الأول: طريق الحوار المطلق وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .	٣٢
أولاً : حديث (أتدرون ما الغيبة ؟...) .	٣٢
آخِرًا : حديث (حسبك من صفية كذا وكذا ...) .	٣٨
المطلب الثاني : طريق الحوار المقترن بالإشارة وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .	٤٤
حديث (حَدِّثْني بأمرٍ اعتصم به...) .	٤٤
المطلب الثالث : طريق الحوار المقترن باستثمار الفرص الملائمة وأساليبه في الترهيب من الغيبة في البيان النبوي .	٤٨
حديث (جاء الأسلمي...) .	٤٨
المبحث الثالث : طريق القصة وأساليبه في الترهيب من الغيبة والنميمة في البيان النبوي .	٥٤
أولاً : حديث (إنهما ليعذبان ...) .	٥٤
آخِرًا: حديث (لما عُرِج بي...) .	٦٣
الخاتمـــة .	٧٢
فهرس المصادر والمراجع .	٧٤
فهرس الموضوعـــات .	٨٤

***